١

دروس في العقيدة

الدكتور عبد القادر بطار

1431 هـ /2010

تعريف علم التوحيد وأقسامه

تعريف علم التوحيد:

أولا: المدلول اللغوي:

تدل مادة "وَحَّدَ " في أصولها اللغوية على عدة معان ترجع كلها إلى معنى الانفراد والتميز.

نقول: وَحِدَ ووَحُدَ وحَادَةً وَوَحْداً وتَوَحَّدَ بقي وحده. ووحَّده توحيدا جعله واحدا. ورجل وَحْدٌ وأَحَدٌ ووَحِدٌ ووَحَيدٌ ومتوِّحد منفرد. أما وصفه بكونه واحدا فمعناه أنه متقدم في بأس أو علم أو غير ذلك كأنه لا مثيل له فهو وحده.

ووصفه سبحانه بأنه الأوحد أو المتوحد فمعناه: أنه ذو الوحدانية.(1)

وقد اعتبر الراغب الأصفهاني لفظ الواحد الشيء الذي لا جزء له البتة، وهو عنده لفظ مشترك يستعمل على ستة أوجه:

1 . ما كان واحدا في الجنس أو في النوع كقولنا: إن الإنسان والفرس واحد في الجنس، وزيد وعمرو واحد في النوع.

2 . ما كان واحدا بالاتصال، إما من حيث الخلقة كقولنا: شخص واحد، وإما من حيث الصناعة كقولنا: حرفة واحدة.

3 . ما كان واحدا لعدم نظيره، إما في الخلقة كقولنا: الشمس واحدة، وإما في دعوى الفضيلة كقولنا: فلان واحد دهره.

4 . ما كان واحدا لامتناع التجزيء فيه، إما لصغره كالهباء، وإما لصلابته كالماس.

5 . للمبدأ: إما لمبدأ العدد كقولنا واحد اثنان... وإما لمبدأ الخط كقولنا النقطة واحدة.

6 . الذي لا يصح عليه التجزيء ولا الكثرة وهذا الوصف مختص بالله تعالى...(2)

إذن لفظ الواحد من الألفاظ المشتركة فهو في حق المخلوق يدل على نوع من الانفراد، ولكنه انفراد محدود في الزمان والمكان، أما إطلاقه على الخالق فهو يدل على انفراد مطلق يتجاوز هذه المفاهيم كلها.

كما أن الوحدة في حق المخلوق تنتهي إلى معنى سلبي لا يجعل له مزية على غيره بخلاف، الوحدة في حق الخالق، فهي تدل على الإيجاب والامتياز والكمال. فإذا أقررنا أنه تعالى واحد أو أحد، كان معنى ذلك انفراده بما له من ذات وصفات، وعدم مشاركة غيره له فيها.

---

(1)- انظر الصحاح للجواهري، فصل الواو باب الدال، 547/2/ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة وحد، 90/6./ لسان العرب، لابن منظور، 220/15، مادة "وحد" /المحكم، لابن سيدة، الحاء والدال.والواو 375/3 / القاموس المحيط، للفيروزآبادي. ، فصل الواو، باب الدال جـ 1 ص 356،

(2)- مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ، باب الواو، ص: 551.

ثانيا : المدلول الاصطلاحي :

التوحيد مصدر فعله الماضي وحد، وهو يطلق ويراد به المعاني اللغوية السابقة، كما يطلق ويراد به الفن المدون المسمى بهذا الاسم.

كما يعتبر التوحيد من الأصول الكلامية التي تميز المشتغلين بالدراسات العقدية عن غيرهم من العلماء : " فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيا. فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقـه". (1)

وعلى هذا الأساس فتحصيل التوحيد على نحو ما أصل عقدي تردده جميع الفرق الإسلامية، وتحوم حول قضاياه، غير أن عبارات القوم لا تكاد تتفق على مضمون هذا اللفظ، كما يظهر ذلك عند معظم الفرق الكلامية أثناء التطبيق.

وللعلماء في تعريف علم الكلام عبارات مختلفة كثيرا ما تدل على الاختلاف في وجهة النظر.

أبو نصر الفارابي (تـ 339 هـ): له قول في تعريف علم الكلام والفرق بينه وبين الفقه، وهو من أقدم ما وصل إلينا من تعاريف هذا العلم، قال في الكلام:" صناعة الكلام: وصناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل. وهذا ينقسم إلى جزئين أيضا: جزء في الآراء، وجزء في الأفعال، وهي غير الفقه، لأن الفقه يأخذ الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها أصولا، فاستنبط منها الأشياء اللازمة عنها. والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولا من غير أن يستنبط منها شيئا آخر. فإذا اتفق أن يكون لإنسان ما قدرة على الأمرين جميعا فهو فقيه متكلم، فيكون نصرته لها بما هو متكلم واستنباطه عنها بما هو فقيه...(2)

القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني (تـ 403 هـ) : " والتوحيد هو: الإقرار بأنه – تعالى – موجود، إله واحد فرد معبود، " **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**" سورة البقرة الآية 163 " **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** " سورة الشورى الآية 11.(3)

الإمام أبو حامد الغزالي: (تـ 505 هـ): " القول في بيان مقصود علم الكلام... وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنـــة وحراستها عن تشويش أهل البدعة... " (4)

عضد الدين القاضي عبد الرحمن الإيجي : (تـ 756 هـ): " والكلام علم يقتدر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس

1- الملل والنحل، للشهرستاني، 41/1.

6 – إحصاء العلوم، ص:131 .

3 – الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص 23 بتحقيق محمد زاهد الكوثري ، طبعة مكتبة الخانجي القاهرة بدون تاريخ.

8 – المنقذ من الضلال، الصفحة 14.

الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام..." (1)

سعد الدين التفتزاني : (تـ 792 هـ) هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية... ويتميز عن الإلهي بكونه على قانون الإسلام، أي ما علم قطعا من الدين بالضرورة... ككون العالم محفوفا بالعدم والفناء إلى غير ذلك مما تجزم به الملة دون الفلسفة. " (2)

عبد الرحمن ابن خلدون: (تـ 806 هـ): " علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد هو التوحيد..." (3)

الشيخ المولوي محمد أعلى بن علي التهانوي : حاول أن يجمع في تعريفه لعلم الكلام معظم ما قيل في تعريف هذا العلم. فقال: " علم الكلام، ويسمى بأصول الدين أيضا، وسماه أبو حنيفة – رحمه الله بالفقه الأكبر. وفي مجمع السلوك ويسمى بعلم النظر والاستدلال، ويسمى أيضا بعلم التوحيد والصفات، وفي شرح العقائد للتفتزاني: العلم المتعلق بالأحكام الفرعية، أي العملية يسمى علم الشرائع والأحكام، وبالأحكام الأصلية، أي الاعتقادية: يسمى علم التوحيد والصفات. وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه..." (4)

إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: (تـ 1277 هـ) " التوحيد لغة العلم بأن الشيء واحد، وشرعا هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفات وأفعالا ... (5)

الشريف علي بن محمد الجرجاني : " الكلام علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام والقيد الأخير لإحراج العلم الإلهي للفلاسفة " (6)

الشيخ محمد عبده: (تـ 1323 هـ): " التوحيد علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يحب أن يكونوا عليه وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم.

أصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وسمي هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه، وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد" (7).

تثير التعريفات السابقة عدة قضايا، منها:

8-المواقف في علم الكلام، الصفحة 7.
9 شرح المقاصد، :جـ 1 ص 179 .
10 - مقدمة ابن خلدون، الصفحة 457.
11 – كشاف اصطلاحات الفنون، جـ 3 ص 1273.
5 – شرح جوهرة التوحيد ص 20.
6 – التعريفات، باب الكاف ، ص 80 المطبعة الخيرة مصر 1306 هـ
7- رسالة التوحيد، ص 62.

- هل علم الكلام علم للدفاع عن العقائد الدينية، أو لأثباتها ابتداء ؟
- هل علم الكلام يشمل الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة أو يشمل أيضا كل العقائد المتعلقة بأصول الدين، سواء منها المخالف أم الموافق ؟
- ما الفارق بين علم الكلام وعلم الإلهيات ؟

يظهر من خلال هذه التعريفات أن المتكلمين متفقون على أن علم الكلام في صورته التقليدية يعتمد النظر العقلي في أمر العقائد الدينية، ثم هم يختلفون في أن الكلام يثبت العقائد الدينية بالبراهين العقلية كما يدافع عنها، أو هو إنما يدفع الشبه عن العقائد الإيمانية بالكتاب والسنة، وهذا الخلاف يرجع إلى الخلاف في كون العقائد الإيمانية ثابتة بالشرع وإنما يفهمها العقل عن الشرع ويلتمس بعد ذلك البراهين النظرية أو هي ثابتة بالعقل على معنى أن النصوص الدينية قررت العقائد الدينية بأدلتها التفصيلية.

والحق أن العقائد الدينية ثابتة ابتداء، وأنها مقررة بأدلتها النقلية والعقلية، لكون الدليل النقلي لا يمكن فهمه إلا باستعمال العقل، وهذا هو الجانب العقلي في تلك الأدلة. كما أن العقل يمكنه أن يلتمس أدلة أخرى على سبيل إقناع من يجادل في الأدلة النقلية.

✓ إن تعريف الفارابي لم يقصد إلى بيان الكلام الإسلامي والفرق بينه وبين الفقه على مصطلح أهل الإسلام، بل قصده الكلام في العلوم الدينية جملة فجعلها طائفتين. كما أن تطبيق ما قاله الفارابي على المصطلح المتداول عند مفكري الإسلام ليس بظاهر.

✓ من القضايا التي تثيرها هذه التعريفات كذلك هي أن طائفة منها تجعل الكلام علما سنيا صرفا وأداة لنصرة عقائد السلف ودفاعا عن السنة. في حين تجعله بعض التعريفات أداة دفاع لكل معتقد عن عقيدته فدفاع المبتدع عن عقيدته بالبراهين العقلية كلام أيضا.

✓ تحدد التعريفات السابقة ثلاث مهام رئيسية لعلم التوحيد:

1. تبيين العقائد الدينية.
2. إثبات العقائد الدينية.
3. الدفاع عن العقائد الدينية.

✓ إن القيد الذي وضعه التفتزاني يعتبر حدا فاصلا بين علم الكلام الإسلامي وعلم الإلهيات الذي اشتغل عليه بعض الفلاسفة المسلمين وحاولوا على ضوئه التوفيق بين الفلسفة والدين.

✓ أغفلت التعريفات السابقة الإشارة إلى اليوم الآخر وما يرتبط به من حقائق إيمانية على الرغم من كونها من جملة مكونات مسمى العقيدة الإسلامية أو علم التوحيد.

✓ إن التأكيد على الدور الدفاعي لعلم الكلام لا يعني أن هذا العلم مجرد أداة للدفاع عن العقائد الدينية بل هو علم تحصيلي ذو مهمة تنويرية يقصد منه فهم الإيمان، ومعرفة واجب الوجود... (1)

---

1 – مباحث في علم الكلام والفلسفة، د. علي الشابي، ص 14 ،طبعة دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى 2002 بيروت

✓ لعل التأكيد على الدور الدفاعي لعلم الكلام جاء كرد فعل على الحملة التي قام بها الحنابلة ضد هذا العلم. وهي حملة بدأها الإمام أحمد نفسه (تـ 241 هـ) فقد أثر عنه أنه قال: لست أنا بصاحب كلام وإنما مذهبي الحديث. كما ظهرت هذه الحملة عند الحافظ ابن عبد البر (تـ 463 هـ) في كتابه" جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله" وتلاه عبد الله الأنصاري الهروي (تـ 481 هـ) في كتابه " ذم الكلام "...

وكان الإمام الأشعري من أوائل من ردوا على دعوى الحنابلة في ذم الكلام والنهي عن الخوض فيه في رسالة بعنوان " استحسان الخوض في علم الكلام" فقال: إن طائفة من الناس جعلوا الجهل رأسَ مالهم، وثقل عليهم النظر والبحث عن الدين. ومالوا إلى التخفيف والتقليد وطعنوا على من فتش عن أصول الدين، ونسبوه إلى الضلال..." (1)

وقد نقض الإمام الأشعري دعاوى الحنابلة من خلال تفكيك خطابهم التبديعي لينتهي بعد ذلك إلى إقرار شرعية علم الكلام لكون أصوله النظرية مضمنة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية.

ويقول ابن خمير السبتي (تـ 614 هـ) "... ومعلوم أنه ما صح عمن يؤبه به ويقتدى بقوله من فقهاء الدين والفضلاء المتدينين، أنه ذم هذا العلم ولا طعن فيه، وحاشا لمن توسم بالحنفية أن ينكر علما يثبت توحيد الباري تعالى ووصفه بإثبات صفات الكمال ونفي النقص عنه تعالى، وتنزيهه عما نسب إليه أصناف الكفرة وأهل الأهواء، وكذلك إثبات النبوة بالمعجزات والاستدلال على صحتها وصحة التفرقة بين الصادق والكاذب، وما يجب على الكلف ومتى يجب، وكيف يجب، وأي عقلة تبقى من إيمان من ينكر العلم بهذه الأمور ويحض على تركها ." (2)

وعن شرف علم التوحيد ومنزلته يقول الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن سالم المعرف بسيف الدين الآمدي : " وأشرف العلوم إنما هو العلم الملقب بعلم الكلام، الباحث عن ذات واجب الوجود وصفاته، وأفعاله ومتعلقاته، إذ شرف كل علم إنما هو تابع لشرف موضوعه الباحث عن أحواله العارضة لذاته، ولا محال أن شرف موضوع هذا العلم يزيد على شرف كل موضوع، ويتقاصر عن حلول ذراه كل موجود مصنوع، إذ هو مبدئ الكائنات، ومنشيء الحادثات، وهو بذاته مستغن عن الحقائق والذوات، مبرأ في وجوده

---

1 – رسالة استحسان الخوص في علم الكلام للإمام الأشعري ، وقد طبعت هذه الرسالة في حيدر أباد في الهند الطبعة الأولى سنة 1323 هـ .وقد أورد نصها الدكتور عم ر النجار في كتابه " علم الكلام عرض وتقد" ملحق (2) الصفحة 178.والدكتور عبد الرحمن بدوي كتابه" مذاهب الإسلاميين، جـ 1 ص 15.

وقد شكك في صحة نسبة هذه الرسالة إلى الإمام الأشعري عبد الرحمن بدوي، أنظر كتابه" مذاهب الإسلاميين، جـ 1 ص:181 وفوقية حسين، أنظر مقدمة تحقيق كتاب الإبانة عن أصول الديانة للإمام الأشعري ص 72. ومهما يكن من شيء فإن الآراء التي تتضمنها تلك الرسالة تعبر عن وجهة نظر الأشاعرة وموقفهم الإيجابي من الاشتغال بعلم الكلام.

انظر كتاب " تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري لابن عساكر الدمشقي ص 333. وقد رأينا بعض علماء الغرب الإسلامي ينحون هذا المنحى، أنظر كتاب " مقدمات المراشد إلى علم العقائد" ص 80. لابن خمير السبتي/ وشرح السنوسية الكبرى، المسماة " عمدة أهل التوفيق والتسديد" للإمام السنوسي ص: 50

2 – مقدمات المراشد إلى علم العقائد ، ص80.

عن الاحتياج إلى العلل والمعلولات، كيف والعلم به أصل الشرائع والديانات، ومرجع النواميس والديانات، ومسند صلاح نظام المخلوقات" (1)

يقول سعد الدين التفتزاني: " ... وبالجملة فهو – علم التوحيد – أشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية ورئيس العلوم الدينية، وكون معلوماته: العقائد الإسلامية، وغايته: الفوز بالسعادة الدينية والدنيوية ... وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإنما هو للمتعصب في الدين، والقاصر عن تحصيل اليقين، والقاصد إفساد عقائد المسامين، والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين، وإلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات، وأساس المشروعات ".(2)

فائدة علم التوحيد:

إذا كان علم التوحيد أشرف العلوم لكونه متعلقا بذاته تعالى وذوات رسله عليهم الصلاة والسلام فإن فائدته تظهر أيضا من خلال تحقيق المقاصد الآتيـــة:

- الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، إذ من شروط المعرفة العقدية: الجزم، والمطابقة للواقع، وكونها ناشئة عن دليل.
- القيام بفرض مجمع عليه وهو معرفة الله تعالى بصفاته الواجب ثبوتها له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به، والتصديق برسله على وجه اليقين الذي تطمئن به النفس اعتمادا على الدليل لا استرسالا مع التقليد.
- إرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة.
- حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين.
- أن يبنى عليه العلوم الشرعية فإنه أساسها ومرجعها.
- صحة النية والاعتقاد. إذ به يرجى قبول العمل وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين. (3)

---

1 – غاية المرام في علم الكلام ، ص 13، تحقيق أحمد فريد المزيدي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى2004

2 – شرح العقائد النسفية، ص 12.

3 – أنظر: المواقف في علم الكلام للإيجي ص: 8. / شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص: 45/ رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص: 79.

أقسام التوحيد:

قسم علماء العقيدة التوحيد إلى ثلاثة أقسام: ما يعتقد من الإلهيات، وما يعتقد من النبوات وما يعتقد من الأخرويات أو السمعيات. [1] وهذا التقسم باعتبار طرق إثبات هذه العقائد.

القسم الأول: الإلهيات:

يتناول هذا القسم ما يتعلق بوجود الله تعالى وما يجب في حقه عز وجل من صفات وما يجوز وما يستحيل ... مما يحب على كل مكلف اعتقاده.

فمما يجب في حقه سبحانه تعالى جملة من الصفات سنفصل الكلام عليها في المباحث الموالية. وأما المستحيل في حقه سبحانه وتعالى فهو كل ما ينافي الصفات الواجبة، أو قل إن شئت: يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أضداد الصفات الواجبة في حقه سبحانه وتعالى. وأما الجائز في حقه عز وجل ففعل كل ممكن أو تركه... فيدخل في هذا القسم الثواب والعقاب وبعث الرسل ...

القسم الثاني: النبوات.

ويسميها بعض العلماء بالرساليات، ويتناول هذا القسم كل ما يتعلق بالنبوة والرسالة، من حيث جوازها على الله تعالى، ثم الصفات الواجبة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وكذا الجائز والمستحيل في حقهم مما يجب على كل مكلف اعتقاده. وسنفصل الكلام أيضا على القسم في موضوعه.

القسم الثالث:السمعيات.

يتناول مصطلح السمعيات أو الأخرويات ما يسميها بعض العلماء بالعقائد الدينية التي مصدره السمع أو النقل فقط، ويندرج في هذا القسم جملة من العقائد الإيمانية سنقف على طائفة منها في موضعه.

---

1) شرح توحيد الرسالة للشيخ محمد بن قاسم جسوس، 353/2 تحقيق الأستاذة إحسان النقوطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربيةالطبعة الأولى 2008

القسم الأول: الإلهيات

إن من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان أن خلقه وكرمه وبعث إليه رسلا يرشدونه إلى معرفة حقائق التوحيد التي لا يستطيع أن يتعرف عليها بشكل صحيح لو ترك وقدراته العقلية المحدودة في الزمان والمكان.

لقد أتى على هذا الإنسان حين من الدهر فقد فيه أنوار التوحيد المشرقة، وعاش في ظلم الشكوك والأوهام، أسير الخرافات والخوف من مصير مجهول لا يعرف عنه شيئا، ويحيى حياة قلقة تعسة لا هدف لها ولا غاية من ورائها. والإيمان بالله تعالى وتوحيده سبحانه هو الطريق المستقيم، وهو المنهج القويم، وهو الحياة المطمئنة، وهو الفطرة التي فطر عليها الإنسان في أول الأمر:" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . [الروم: 30]

لقد اهتم الإسلام بأمور العقيدة اهتماما كبيرا لا يدانيه إلا شرف هذه العقيدة نفسها، التي يعد تحصيلها على نحو صحيح، والعلم بمفرداتها على سبيل اليقين الناتج عن دليل مطابق للواقع، ضرورة شرعية يلزم جميع المكلفين، لقوله تعالى " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [محمد : 19]

فهذا الخطاب وإن كان موجها للنبي ﷺ فإن كل واحد من أفراد الأمة داخل معه فيه.[1]

ويتحدد مفهوم العلم في هذا الموضع بالإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، أي تحقيق الوحدانية له سبحانه وتعالى في أسمى تجلياتها، على مستوى الذات والصفات والأفعال. على أن مصدر هذه المعرفة إنما هو الشرع الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذه الحقيقة المطلقة –حقيقة الوحدانية– أطلع الله سبحانه تعالى نبيه محمدا ﷺ عليها وأعلمه بها، وأمر أمته بالتبعية أن يعلموا هذه الحقيقة الكبرى انطلاقا من الوحي الذي يملك وحده حقيقتهاالمطلقة.

كما يتحدد مفهوم التوحيد بمعناه الأعم الذي يلزم جميع المكلفين على سبيل الوجوب العيني بالإيمان بالله تعالى والتصديق له ولرسله وكتبه وما جاء من عنده. [2]

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 116/5.
(2) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني، ص: 21

وقد دلت السنة النبوية المطهرة على مثل ما دل عليه الكتاب العزيز، فقد ورد في الحديث الصحيح:" من مات وهو يعلم **لا إله إلا الله، دخل الجنة**".[1]

فقد شرط النبي ﷺ اليقين والعلم وهما ضدان للتقليد لتحصيل علم التوحيد الذي هو أشرف العلوم وأوجبها.

وقد أرسل الله جميع الرسل ونزل جميع الكتب بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى:

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [الأنبياء : 25]

وقال عز وجل:" وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ " [الزخرف : 45]

وقال سبحانه وتعالى:" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ [النحل : 36]

وقال سبحانه وتعالى :" يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ [المؤمنون : 51-52]

وقد جاء الإسلام يقررأن الدين الحق واحد، هو وحي الله تعالى إلى جميع أنبيائه، وهو عبارة عن الأصول التي لا تتبدل بالنسخ ، ولا يختلف فيها الرسل وهي هدى أبدا. [2]

إن التوحيد بالصورة التي يقررها الإسلام عظيم الفائدة للجنس البشري، لأنه يجمع البشر حول إله واحد، وفي ذلك توحيد اتجاههم و غرس نظام الأخوة بينهم. وأما تفرق الآلهة فمعناه تفرق البشر، وذهاب كل فريق إلى التعصب لما وجه إليه قلبه، وفي ذلك خسارة للبشرية وفساد للنظام.[3]

وعن شرف علم التوحيد ومنزلته يقول الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن سالم المعروف بسيف الدين الآمدي : " وأشرف العلوم إنما هو العلم الملقب بعلم الكلام،

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان.
(2) تمهيد تدرج الفلسفة الإسلامية الشيخ مصطفى عبد الرازق، ص 269.
(3) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ص: 138.

الباحث عن ذات واجب الوجود وصفاته، وأفعاله ومتعلقاته، إذ شرف كل علم إنما هو تابع لشرف موضوعه الباحث عن أحواله العارضة لذاته، ولا محال أن شرف موضوع هذا العلم يزيد على شرف كل موضوع، ويتقاصر عن حلول ذراه كل موجود مصنوع، إذ هو مبدئ الكائنات، ومنشيء الحادثات، وهو بذاته مستغن عن الحقائق والذوات، مبرأ في وجوده عن الاحتياج إلى العلل والمعلولات، كيف والعلم به أصل الشرائع والديانات، ومرجع النواميس والديانات، ومسند صلاح نظام المخلوقات". (1)

ويقول سعد الدين التفتزاني: " ... وبالجملة فهو –علم التوحيد– أشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية ورئيس العلوم الدينية، وكون معلوماته: العقائد الإسلامية، وغايته: الفوز بالسعادة الدينية والدنيوية ... وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإنما هو للمتعصب في الدين، والقاصر عن تحصيل اليقين، والقاصد إفساد عقائد المسامين، والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين، وإلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات، وأساس المشروعات ".(2)

وإذا كان مقررا أن علم التوحيد هو أشرف العلوم لكونه متعلقا بذاته تعالى وذوات رسله عليهم الصلاة والسلام أولا، ولكونه أساس العلوم الشرعية ومرجعها الذي تبنى عليه ثانيا فإن فائدته تظهر أيضا من خلال تحقيق المقاصد العقدية الآتية:

- الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، إذ من شروط المعرفة العقدية الصحيحة: الجزم، والمطابقة للواقع، وكونها ناشئة عن دليل.
- القيام بفرض مجمع عليه وهو معرفة الله تعالى بصفاته الواجب ثبوتها له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به، والتصديق برسله على وجه اليقين الذي تطمئن به النفس اعتمادا على الدليل لا استرسالا مع التقليد.
- إرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة.
- حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين. خصوصا وأن أدلة التوحيد رأيناها كما يقول الإمام الجويني: عصاما للتسديد، ورباطا للتأييد.

---

(1) غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي، ص:13.
(2) شرح العقائد النسفية، ص 12.

- صحة النية والاعتقاد. إذ به يرجى قبول العمل وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين. (1)

(1) أنظر: الإرشاد للجويني، ص: 1/ المواقف في علم الكلام للإيجي ص: 8 / شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص: 45/ رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ص: 79.

صفات الله تعالى وأقسامها

صفات الله تعالى وأقسامها:

إن العلم بالله سبحانه وتعالى يقوم على ثلاثة أسس وهي: العلم بما يجب له سبحانه وتعالى من صفات، والعلم بما يستحيل عليه سبحانه، والعلم بما يجوز في حقه سبحانه.(1)

ثم إن مضمون هذه المعرفة بمستوياتها الثلاثة السابقة ترشدنا فقط إلى التعرف على الله تعالى من خلال صفاته دون الإحاطة بذاته سبحانه، لأن معرفة حقيقة الذات الإلهية كما هي في واقعها الوجودي المتعالي أمر لا ترقى العقول إلى إدراكه. إننا نستطيع أن نثبت بالأدلة العقيلة والشرعية الوحدانية المطلقة الله تعالى، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن نحيط بحقيقة الذات الإلهية، لأن حقيقة الذات المقدسة أكبر وأعظم من أن تحيط بها عقولنا القاصرة بطبيعتها.

إن الإنسان المسلم يكفيه في هذا الموضع الخطير أن يردد قوله تعالى:" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى : 11]. وقوله جل شأنه : وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً [طه: 110]

إننا في دراستنا لقضايا العقيدة وبالضبط في الجانب الإلهي المتعالي لا نطمح أبدا إلى معرفة حقيقة ذاته سبحانه وكنهها على نحو ما هي عليه، ذلك أن طبيعة إدراكاتنا وقصور عقولنا لا تسمح لنا بولوج عوالم الغيب والإحاطة بها، بل كل ما في الأمر أننا نتعرف على الذات العلية للخالق عز وجل من خلال صفاته وإبداعه وخلق ه. إن العقل – كما يقول ابن خلدون – " ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمح أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثل رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يُدرك، على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه، وتفطن في هذا لغلط من يقدم العقل على السمع، في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه وضمحلال رأيه..." (2)

والذي ينبغي للمسلم اعتقاده في هذا الموضع على سبيل الإجمال هو أن يعلم " أن ذات الله تعالى توصف ولا تدرك، فالله سبحانه وتعالى خالق الكون، وطبيعة الخالق مخالفة لطبيعة المخلوق، كما يختلف النجار عن الباب الذي يصنعه، وعلى هذا يرشدنا

---

(1) التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز، لأبي علي عمر بن محمد السكوني 65/1
(2) مقدمة ابن خلدون 968/3 تحقيق د. علي عبد الواحد وافي.

القرآن إلى معرفة الله بآثاره الدالة على صفاته وكمال جلاله وجمال ه، وتنزهه عن المماثلة لخلقه، أو الاتحاد أو الحلول في شيء مما خلق، وأوصد أمام الإنسان باب التطلع إلى معرفة حقيقته وذاته، وصرفه عن محاولة التفكير في هذا الباب ... والعجز عن إدراك حقيقة الذات الأقدس عقيدة من عقائد الإيمان بالله، وهو نفسه برهان على سمو الألوهية الحقة عن الدخول في دائرة التفكير العقلي المحدود بطبيعته، والذي لا يجد مجالا لتخطي ما وراء الكون.(1)

وقد جاء القرآن الكريم مقررا هذا المعنى ، قال تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى: 11] وقال جل شأنه :" لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الأنعام: 103]. وقال أيضا : " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً. [طه: 110]

وإلى هذه المعاني المتعالية يشير ابن أبي زيد القيرواني بقوله:" لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر الفكرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية ذاته" يقول القاضي عبد الوهاب بن ناصر البغدادي:" فأما اعتبار المتفكرين بآياته: فهو استدلالهم على وجوده بأفعاله وآثار صنعته، وتقدمه على إحداثه لخلقه..."(2)

ويقول الشيخ محمد بن قاسم جسوس في شرحه لعبارة ابن أبي زيد القيرواني:"... وبالجملة فعجز الخلق عن الإحاطة بعظيم كبريائه، وباهر جماله، وعلي جلاله، بل عجزها عن عجائب صنعه في مخلوقاته يكاد أن يكون معلوما من الدين ضرورة، فإذا لا يعرف الله إلا الله كما قال سفيان وقاله الجنيد ومضى عليه محققوا الأمة..."3

صفات الله تعالى كمال أعلى:

تقوم العقائد الدينية في جانبها الإلهي على أمرين اثنين: نفي النقائص عن الله تعالى، وإثبات كمالاته عز وجل. ثم إن كمالاته سبحانه وتعالى أو صفاته الوجودية لا نهاية لها، وبمقتضى هذا الأصل، فإن صفاته سبحانه وتعالى والعلم بها على سبيل التفصيل، أو في نطاق ترجمة كماله سبحانه وتعالى في واقع الأمر لا تنحصر في عدد معين، لكن لما ثبت أن هناك صفات معلومة قام الدليل الشرعي على ثبوتها لله تعالى

(1) مقارنة الأديان / الإسلام أحمد شلبي ص 105.
(2) شرح عقيدة بن أبي زيد القيرواني، ص 165
(3) شرح توحيد الرسالة للشيخ محمد بن قاسم جسوس 2 /387 دراسة وتحقيق الأستاذة إحسان النقوطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية _ المملكة المغربية_

وتجب على المكلف معرفتها وهي على سبيل الحصر عشرون صفة أساسية، تنتظم في قسمين رئيسيين: صفات ثبوتية، وصفات سلبية، والثبوتية نوعان: ما يدل على نفس الذات وهي الصفات النفسية، ومنها ما يدل على معنى زائد على الذات، وهي صفات المعاني والصفات المعنوية، كما يظهر من خلال التقسيم المنهجي الآتي:

القسم الأول: الصفات النفسية:

والمراد بها الصفة الثبوتية التي يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها. وهي صفة واحدة وهي الوجود. وسميت نفسية نسبة للنفس بمعنى الذات، لأنها لا تتحقق خارجا بدونها.

وانطلاقا من هذا التحديد فإن اعتبار الوجود صفة على مذهب الإمام الأشعري رحمه الله فيه تسامح، لأنه اعتبر الوجود عين الذات، وليس بزائد عليها، والذات ليست بصفة.

وقد قامت الأدلة العقلية والنقلية على وجوده سبحانه وتعالى، هذا الوجود الذي يعني أنه سبحانه لا يجوز عليه العدم ولا يقبله أزلا وأبدا.

القسم الثاني: الصفات السلبية:

وهي التي لا تدل على معنى موجود في نفسها، بل تفهم بشكل سلبي أي سلب معنى لا يليق به سبحانه، سميت سلبية لأن كل صفة من الصفات السلبية الخمسة الآتية سلبت ونفت عن الله أمرا لا يليق به سبحانه.

ولما كانت الصفات السلبية كثيرة، بمقتضى أن كل نقص يُنفى بعكسه، والنقائص كثيرة ، فإن هناك خمس صفات هي أمهات الصفات السلبية يغني تحصيلها عن استحضار جزئياتها على وجه التفصيل وهي:

الوحدانية: وهي من الصفات الأساسية في التصور الإسلامي، بل هي مهمة جميع الأنباء والمرسلين الذين اتجهوا في دعوتهم إلى عبادة الإله الواحد ونفي جميع ضروب الشرك.

ويتحدد مدلول الوحدانية عقديا أنه سبحانه وتعالى واحد من حيث الذات والصفات والأفعال:

أولا: بالنسبة للذات: أنها غير مركبة من أجزاء ، وأنها غير متعددة، بحيث يكون ثمة إله ثان، فهي واحدة من غير تركيب ولا تعدد.

ثانيا: بالنسبة للصفات: فهي غير متعددة من جنس واحد كقدرتين فأكثر- مثلا- وأنه لا توجد لأحد صفة تشبه صفاته سبحانه.

ثالثا: وبالنسبة للأفعال: فمعناه أنه لا يوجد لغير الله فعل من الأفعال على سبيل الإيجاد والأختراع ، وإنما ينسب الفعل لغير الله تعالى على وجه الكسب والاختيار.

وانطلاقا من هذا التصور السني للفعل الإلهي فإن الله تعالى خالق كل شيء ومبدع كل شيء، فهو سبحانه مستقل بالإيجاد والإبداع.

القدم: وهو صفة سلبية لا تدل على معنى موجود في نفسها، ومعناه في حقه تعالى القدم الذاتي، وهو عدم وجود أول له سبحانه، وأن وجوده غير مسبوق بعدم. أو سلب العدم السابق على الوجود، أما القدم في حق البشر فالمراد به الزماني، وهو طول المدة وهذا مستحيل في حقه تعالى، لأن وجوده سبحانه لا يتقيد بزمان ولا مكان، لحدوث كل منهما فلا يتقيد بواحد منهما [1]قال تعالى: " هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد: 3].(2)

ومضمون هذه الآية الكريمة هو الذي يشير إليه ابن أبي زيد القيرواني في بقوله:" ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء". قال القاضي عبد الوهاب:"هو كلام في قدمه، ووجوب وجوده...(3)

البقاء : وهو عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود، أي أنه سبحانه وتعالى لا آخر لوجوده، وأنه باق إلى ما لانهاية، فهو سبحانه أزلي أبدي ، لا يسبقه عدم ، ولا يلحقه فناء " قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء ...(4)

ويقول الإمام الجويني:" يجب القطع بأن الله باق، وما وجب قدمه استحال عدمه. (5)

ومن الأدلة النقلية على ثبيوت هذه الصفة قوله تعالى:" هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد : 3].

---

(2) حاشية الدسوقي على أم البرهين، ص: 102
(3) شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني للقاضي عبد الوهاب بن ناصر الابغدادي، ص162
(4) شرح العقيدة الطحاوية للميداني، ص 52.
(5) العقيدة النظامية ، ص 164.

وقوله جل شأنه :" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [الرحمن : 26، 27]

ومن الأدلة العقلية على ثبوت صفتي القدم والبقاء، ما يشير إليه الإمام الباقلاني بقوله:"وإذا ثبت أن صانع الموجودات ومحدثها لا يجوز أن يكون يشبهها، فيجب أن تعلمَ أن محدث العالم قديم أزلي لا أول لوجوده، ولا آخر لدوامه. والدليل على صحة ذلك: أنه لو لم يكن قديما كما ذكرنا لكان محدثا، ولو كان محدثا لاحتاج إلى محدث أحدثه، لأن غيره من الحوادث إنما احتاجت إلى محدث لأنها محدثة، ولو كان ذلك كذلك لاحتاج كل محدث إلى محدث آخر إلى ما لا نهاية له، ولا غاية، ولما بطل ذلك صح كونه قديما أزليا.

وبمثل هذا الدليل: يُستدل على بطلان قول من زعم من أهل الدهر أن الحوادث لا أول لوجودها، فافهمه ترشد إن شاء الله".[1]

المخالفة للحوادث: أي أن سبحانه وتعالى لا يماثله شيء من المخلوقات، مطلقا لا في الذات و لا في الصفات ولا في الأفعال، أي أنه لا توجد لا ذات تشبه ذاته تعالى ولا صفات شتبه صفاته سبحانه، ولا فعل يشبه أفعاله سبحانه وتعالى. ومعناه مخالفة الخالق عز وجل للحوادث –وهي كل ما سوى الله تعالى- التي يلحقها العدم.

وإذا تقرر أن كل ما سوى الله تعالى حادث، ومخلوق لله تعالى، وهذا هو مدلول لفظ الحوادث، فإن ذات الخالق سبحانه وتعالى ليست كذات أي شيء من المخلوقات، وكل صفة من صفاته ليست كصفة أي مخلوق من المخلوقات، وأفعاله تعالى ليست كأفعال أي شيء من المخلوقات، قال تعالى: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى : 11] فأول هذه الآية تنزيه وآخرها إثبات، ومعناها أنه ليس شيء مماثلا له في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال.[2]

القيام بالذات: ويعبر عن هذه الصفة بالقيام بالنفس أو الغنى المطلق، على أن المراد بالنفس هنا هو الذات، وهذه المعاني كلها تعني عقديا أنه سبحانه وتعالى غير مفتقر إلى موجد يوجده ولا إلى محل يقوم به . أو بعبارة أخرى، فإن معنى قيامه سبحانه وتعالى بنفسه هو عدم افتقاره إلى محل يقوم به، كما يعني نفي احتياجه إلى فاعل أو مخصص.

---

(1)الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ص: 33

(2) شرح جوهرة التوحيد سليمان القضاة ص: 54 ، حاشية الدسوقي على أم البراهين، ص 109

ومن الأدلة النقلية على ثبوت هذه الصفة قوله تعالى:" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ " [سورة الإخلاص] ولفظ الصمد يجسد معنى صفة القيام بالذات ، إذ معناه: الذي لا يحتاج إلى شيء، ويحتاج إليه كل شيء. وقوله تعالى" يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [فاطر: 15]

ومن الأدلة العقلية على ثبوت هذه الصفة أنه سبحانه وتعالى لو افتقر إلى محل أو ذات يقوم بها لكان عرضا، وهو محال. ولو افتقر إلى فاعل أو مخصص، لكان حادثا، وهو أيضا محال.[1]

القسم الثالث: صفات المعاني:

والمراد بها تلك الصفات الموجودة في نفسها، وهي بالنسبة للذات العلية: كل صفة قائمة بذاته سبحانه وتعالى، تستلزم حكما معينا له، كقيام القدرة بالذات، فإنه يوجب كونه قادرا...

وصفات الكمال لله تعالى كثيرة أيضا ولكنها تنتظم في سبع صفات رئيسية تمثل في مجموعها كمالا مطلقا للذات العلية:

القدرة: وهي لغة القوة والاستطاعة، وعند علماء العقيدة: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى وظيفتها الأساسية إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

وانطلاقا من هذا التعريف فإن وظيفة القدرة هي إبراز ما خصصه الله تعالى بإرادته أزلا. ومن هنا تعلم أن تعلق الإرادة لكونه أزليا سابق على تعلق القدرة لكونه تنجيزيا حادثا.

وبالنظر إلى هذا العالم بوصفه فعلا الله تعالى محكما ومنظما ومشتملا على أنواع من العجائب والآيات، نستنتج أن صانعه قادر.

وقد ثبت عقلا أن كل فعل محكم فهو صادر عن فاعل قادر ، والعالم فعل محكم فهو إذن صادر عن فاعل قادر.[2]

إننا نعلم قطعا استحالة صدور الأفعال من عاجز لا قدرة له ولما ثبت أنه سبحانه فاعل الأشياء ثبت أنه قادر.[3]

---

(1) شرح ام البراهين للملالي، ض:58

(2) لاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص: 53.

(3) لإنصاف للباقلاني ص: 35.

ومما يدل على أنه تعالى مريد من جهة العقل : " ترتيب الأفعال واختصاصها بوقت دون وقت، ومكان دون مكان، وزمان دون زمان، وكذلك يدل على أنه أراد أن يكون هذا قبل هذا ، وهذا بعد هذا، وهذا على صفة، والآخر على صفة غيرها ، وهذا مكان آخر.[1]

ومن الأدلة العقلية على وجوب القدرة للخالق عز وجل" أنه لو لم يتصف بها لاتصف بنقيضها، وهو العجز، ولو كان متصفا بالعجز، لما ظهر شيء من الأكوان، كيف وقد ظهرت، فظهورها ناف للعجز، وبانتفائه تثبت القدرة".[2]

ومن الأدلة النقلية على أنه تعالى قادر على جميع المقدورات، قوله تعالى :" وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً [فاطر: 44].

<u>الإرادة</u>: وهي لغة مطلق القصد، ويرادفها لفظ المشيئة، وعرفا: هي صفة أزلية قديمة زائدة على الذات، قائمة بها، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه وفق العلم.

وظاهر اتصاف الخالق سبحانه بالإرادة ، إذ كان من شروط صدور الشيء عن فاعل العالم أن يكون مريدا له، وكذلك من شروطه أن يكون قادرا... [3]

ومما يدل على أنه تعالى مريد من جهة العقل : " ترتيب الأفعال واختصاصها بوقت دون وقت، ومكان دون مكان، وزمان دون زمان، وكذلك يدل على أنه أراد أن يكون هذا قبل هذا وهذا بعد هذا، وهذا على صفة، والآخر على صفة غيرها وهذا من مكان آخر.[4]

والله سبحانه وتعالى فيما خلق ، وفيما يخلق ، وفيما دبر ويدبر به شؤون العالم ، كان يصوغ الكائنات في الأوقات التي يريدها ، ويضفي عليها الأوصاف التي يشاؤها ويريدها، في الأوقات التي يختارها ، لا يستكرهه أحد على شيء من ذلك كله ، لقوله تعالى:" فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ [هود: 107].[5]

---

(1) الإنصاف للباقلاني، ص:36
(2) شرح جوهرة التوحيد للباجوري، 108
(3) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ص: 130.
(4) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ص:36
(5) عقيدة المسلم محمد الغزالي ص: 99.

غير أن عموم المشيئة والقدرة مقيد بما شرع الله تعالى في كونه أو بين عباده من قوانين كونية أو شرعية ... وكذلك ليس معنى أن الله يفعل ما يشاء أنه يثيب العاصي أو يعذب الطائع.

وقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بالجنة، وهذا الوعد الإلهي لا يتخلف شرعا قطعا، إذ الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه، أما الوعيد فلا بد من تحققه بالكافرين قطعا، قال تعالى " إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً. [النساء : 48 [1]

إن منطق الشرع مؤسس على أساس أن الوعد الحسن من نصيب الطائع، والوعد الشديد من نصيب العاصي ، " فلنعمل الصالحات وندع المعاصي " فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ .[الزلزلة: 7- 8][2]

العلم: وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق انكشاف على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء .[3]

ومن الأدلة النقلية على ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: " وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء [البقرة : 255] وقوله جل شأنه :" يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ." [التغابن: 4]" وقوله عز وجل :" عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ . [الأنعام: 73]

ومما يدل على اتصافه سبحانه وتعالى بصفة العلم هو:"صدور الأفعال الحكيمة المتقنة الواقعة على أحسن ترتيب ونظام وأحكام وإتقان وذلك لا يحصل إلا من عالم بها، ومن جوز صدور خط معلوم منظوم مرتب من غير عالم بالخط كان عن المعقول خارجا ، وفي عمل الجهل والجا".[4]

ومن الأدلة العقلية أيضا أن العلم كمال في الموجودات الممكنة، ومن الممكنات من يتصف بالعلم، فلو لم يكن الواجب عالما لكان في الموجودات الممكنة ما هو أكمل من الموجود الواجب، وهو محال .

---

1 عقيدة المسلم ، محمد الغزالي،ص:102، شرح الجوهرة للباجوري ، ص: 214

(2) المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد، سليمان القضاة ،ص:99

(3) شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص: 14.

(4) الإنصاف للباقلاني ص: 36.

ثم إن الله تعالى هو واهب العلم في عالم الإمكان ، ولا يعقل أن يكون مصدر العلم يفقده.[1]

والذي ينبغي تحصيله في هذا الموضع أن صفة العلم :" ليس من شأنها تخصيص الممكنات والتأثير فيها بوجه من الوجوه ولكن شأنها مجرد الكشف والاطلاع، سواء تعلق الأمر بواقع ظهر إلى الوجود، أم بغيب لا يزال في جوف العدم ... [2]

إذن العلم ليس من الصفات المؤثرة، بل هو صفة كشف، ولهذا وجب تعلقه بكل واجب وجائز ومستحيل.

الحياة: وهي صفة أزلية باقية قائمة بذاته تعالى، الذي لم يزل موجودا، وبالحياة موصوفا. فالحياة صفة قائمة بذاته سبحانه.[3]

وإذا كان وجود الخالق سبحانه وتعالى مصدر كل وجود ممكن فإن ذلك يقتضي أن يكون أقوى الموجودات وأعلاها. [4]

كما أن صفة الحياة تستتبع صفتي العلم والقدرة :" ... فإن كون العالم القادر حيا ضروري، إذ لا يعني بالحي إلا ما يشعر بنفسه ويعلم ذاته وغيره، والعالم بجميع المعلومات، والقادر على جميع المقدورات كيف لا يكون حيا... [5]

ويقول الإمام الأشعري في إثبات صفة الحياة:" كذلك لا يجوز أن تحدث الصنائع إلا من حي قادر، لأنه لو جاز حدوثها ممن ليس بقادر ولا حي، لم ندر لعل سائر ما يظهر من الناس يظهر منهم وهم عجزة موتى، فلما استحال ذلك دلت الصنائع على أن الله تعالى حي قادر." [6]

وإذا كنا ندرك بداهة أن الفعل يستحيل صدوره من الميت، الذي لا حياة له، والله تعالى فاعل الأشياء ومنشئها فوجب أن يكون حيا...[7]

---

(1) رسالة التوحيد محمد عبده ص:95.
(2) كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي ص: 120.
(3) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص: 54.
(4) رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده ص: 92.
(5) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي :ص 65.
(6) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، للإمام الأشعري، ص: 87
(7) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني ص: 35.

ومن الأدلة النقلية على ثبوت صفة الحياة للخالق عز وجل قوله تعالى :" اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ [البقرة : 255 وقوله جل شأنه:" اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. [غافر : 65– 64]

السمع والبصر : وهما صفتان ينكشف بهما كل موجود ويتضح كالعلم، غير أن الإنكشاف بهذين الصفتين مغاير للإنكشاف بصفة العلم، كما أن الإنكشاف في كل صفة من الصفات الثلاثة متغاير.

وبالجملة يجب أن نعلم أن الله تعالى سميع لجميع المسموعات ، بصير بجميع المبصرات.

ومن الأدلة النقلية على ثبوت هذين الصفتين للذات العلية قوله تعالى:" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى : 11] وقوله جل شأنه:" أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ [الزخرف : 80] وقوله عز من قائل:" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [المجادلة : 1] وقوله تعالى لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون:" قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" [طه : 46]. (1)

فالله تعالى يسمع كل موجود، ويبصر جميع الأشياء، فهو سبحانه يحيط بالمسموعات والمبصرات من غير أن يشغله شأن عن شأن ، قال تعالى :" أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى [العلق : 14]. (2)

وإذا لم يوصف الخالق سبحانه بالسمع والبصر وجب أن يوصف بضد ذلك من الصمم والعمى، والله سبحانه يتعالى عن ذلك علوا كبيرا.(3)

وإذا كنا نثبت للخالق عز وجل أنواع الإدراكات من السمع والبصر والعلم التي هي صفات كمال، فإننا لا نتوغل في محاولة معرفة الأسباب المقترنة بها عادة من الملامسة والملاقاة، فإن ذلك محال على الله تعالى.(4)

---

(1) شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص: 129.
(2) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص: 79.
(3) الإنصاف للباقلاني ص: 38.
(4) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، ص: 73.

الكلام: وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، غير مخلوق ولا محدث، وليس بحرف ولا صوت، يعبر عنه بالعبارات المختلفة كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، غير أن هذه العبارات ليست هي عين كلامه سبحانه بل هي دالة على كلامه القديم جل وعلا...أي دلالة الكلام اللفظي على الكلام النفسي القديم.

وعن هذه الصفة يقول سيف الدين الآمدي:" ذهب أهل الحق من الإسلاميين إلى كون البارئ–تعالى– متكلما بكلام قديم أزلي نفسي أحدي الذات، ليس بحرف ولا صوت، وهو مع ذلك ينقسم بانقسام المتعلقات، مغاير للعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك من الصفات."[1]

ويقول القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني:" اعلم أن الله متكلم، له كلام عند أهل السنة والجماعة، وأن كلامه قديم ليس بمخلوق ولا مجعول ولا محدث، بل كلامه قديم صفة من صفات ذاته كعلمه وقدرته وإرادته ونحو ذلك من صفات الذات."[2]

وعلى هذا الأساس فإن كلام الله تعالى صفة واحدة لا تعدد فيها، لكن لها أقسام اعتبارية، فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلا أمر، ومن حيث تعلقه بطلب ترك المحرمات نهي، ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا خبر، ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة وعد، ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار وعيد...[3]

وتأسيسا على ما سبق فإن كلام الله تعالى يتعلق بكل واجب وجائز ومستحيل كالعلم. ومعنى تعلقه أي دلالته.

فمثال: دلالته على الواجب: قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ...[الإخلاص:1–2] لأن وحدانيته سبحانه وتعالى واجبة، وصمدانيته واجبة، والصمد هو الذي يلجأ إليه غيره، قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [فاطر : 15].

ومثال دلالته على المستحيل قول جل شأنه:" لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ [الإخلاص: 3] ومثال دلالته علة الجائز قوله عز اسمه:" وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [القصص: 68] لأن الخلق من الجائزات...[4]

---

(1) غاية المرام في علم الكلام، ص:86
(2) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ص:71
(3) شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص114.
(4) شرح أم البراهين، للملالي، ص 65.

ومن الأدلة النقلية على ثبوت هذه الصفة لله تعالى قوله عز وجل: " وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً [النساء : 164]. وقوله أيضا :" وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ [التوبة: 6] وقوله عز اسمه:" تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ [البقرة : 253]...

ومن الأدلة العقلية التي يتوسل بها للتدليل على ثبوت صفة الكلام للذات المقدسة، هو أن يقال: " إن قول الرسول لا يدل ما لم يثبت صدقه. ولا يثبت صدقه إلا بالمعجزة، والمعجزة لا تثبت ما لم يثبت كون الباري متكلما، فإن دلالة المعجزة تتنزل منزلة قول الله تعالى لمدعي الرسالة: صدقت، أو أنت رسولي، فلما لم يثبت الكلام الصدق لله تعالى لا يكون مصدقا لرسوله، فلو أثبتنا الكلام له تعالى بالسمع لدار". (1)

فهذه الصفات هي التي جاء بها الدليل النقلي وأيده الدليل العقلي، فيجب اعتقاد ثبوت هذه الصفات للخالق عز وجل، كما يجب اعتقاد استحالة اتصافه سبحانه بأضدادها.

القسم الرابع: الصفات المعنوية:

لهذه الصفات علاقة وطيدة بصفات المعاني السابقة، فإذا كانت صفات المعاني أصلا فإن الصفات المعنوية فرع عنها. فإذا وصفنا الله تعالى بكونه عالما أو قادرا مثلا فهذا الوصف يعني أنه سبحانه وتعالى يتصف بصفتيتن هما: صفتا العلم والقدرة، أو بعبارة أخرى فإنه لا يصح وصف الذات المقدسة بالعلم أو القدرة إلا إذا قام بهما العلم والقدرة فعلا.(2)

والصفات المعنوية سبع صفات مثل الأولى، وهي كونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما، بمقتضى أن كل صفة من الصفات المعنوية لازمة لصفات المعاني، فكونه تعالى قادرا لازم للصفة الأولى من صفات المعاني وهي القدرة القائمة بذاته تعالى، وكونه عز وجل مريدا لازم للإرادة القائمة بذاته تعالى وهكذا ...

أحكام هذه الصفات:

(1) شرح السنوسية الكبرى لأبي عبد الله السنوسي، ص 160.
(2) حاشية الدسوقي على أم البراهين، ص 155.

الحكم الأول: أن صفات المعاني السبعة ليست هي عين الذات بل هي زائدة عليها، وعلى هذا الأساس فالله تعالى عالم بعلم وحي بحياة وقادر بقدرة وهكذا في سائر الصفات.

الحكم الثاني: أن هذه الصفات كلها قائمة بذاته تعالى لا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته سبحانه.

الحكم الثالث: أن هذه الصفات كلها قديمة قدم الذات العلية نفسها، بمقتضى أن القول بحدوثها يستلزم أنه سبحانه محل للحوادث وهو محال.

الحكم الرابع: تنزيه الله تعالى عن أضداد هذه الصفات وسائر النقائص.

الحكم الخامس: أن الأسماء المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبعة صادقة عليه أزلا وأبدا، فالله تعالى في القدم كان حيا قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما.[1]

(1) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، ص: 84

أسماء الله الحسنى

أسماء الله الحسنى ودلالتها:

من الإيمان بالله تعالى أيضا الإيمان بأسمائه الحسنى التي دل عليها الكتاب العزيز، وأرشدت إليها السنة النبوية الصحيحة.

فيجب أن يعلم أن أسماءه تعالى قديمة مثل صفاته، فالله تعالى :" لم يزل مسمى بأسماء قبل وجود الخلق، وعند وجود الخلق، وبعد فنائهم. (1)

وقد وصف الله تعالى أسماءه العظيمة بالحسنى في أربع آيات من القرآن العظيم:

أولا: قوله تعالى: وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ [الأعراف : 180]

ثانيا: قوله تعالى: " قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى [الإسراء: 110]

ثالثا: قوله تعالى :" اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى [طه: 8]

رابعا: قوله تعالى :" هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [الحشر: 24]

وفي وصف الأسماء بالحسنى ، دليل على أنها تحمل معاني حسنة، لأن أكمل الصفات وأجلها وأعلاها على الإطلاق هي صفات الله تعالى . والمراد بالأسماء هاهنا الأوصاف الحسنة، كالوصف بالوحدانية والجلال والعزة والإحسان وانتفاء شبه الخلق.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:" إن **لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة**". (2)

والمراد بإحصائها: الإحصاء باللسان مقرونا بالإحصاء بالعقل، فإذا وصف العبد ربه بأنه الملك استحضر في عقله أقسام ملك الله تعالى مقدما في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه عن كل ما لا ينبغي... (3)

---

(1) العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي ص: 25 .
(2) شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص : 142.

(2) صحيح البخاري (6410)،(7392 / صحيح مسلم (2677) / الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص: 44.
(3) شرح الأسماء الحسنى لفخر الدين الرازي ص: 25.

وقيل إن المراد بإحصائها: الفهم لها والعلم بها، وقيل الإيمان بها والتعظيم لها، وقيل التحلي بها والرعي لها والعمل بها...[1]

وهذه المعاني كلها حسنة مطلوب الوقوف عندها، ولا تعارض بينها، فإن من صرف همه لتحصيل معانيها لا يملك إلا أن يعظمها، على أن العمل بها والرعي لها وتمثلها هو الغاية العظمى من إحصائها.

دلالة الأسماء الحسنى:

إن الناظر في أسماء الله الحسنى، المتأمل في معانيها العميقة يجد أنها تحمل في ثناياها حقائق التوحيد الخالص، ويمكن إرجاع ذلك إلى المعاني الآتية:

أولا: التدليل على إثبات وجود الخالق سبحانه كالأول والآخر" هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. [الحديد: 3]

ثانيا: التدليل على وحدانية الخالق سبحانه كالواحد " قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [ص: 65]

ثالثا: التدليل على إبداع واختراع الخالق سبحانه كاسم الله جل جلاله:" قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . [الرعد: 16]

رابعا: التدليل على نفي التشبيه عن الله تعالى كاسم الأحد والصمد "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْوَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ [الإخلاص: 2]

خامسا: التدليل على إثبات التدبير له سبحانه كاسم المدبر والقيوم :" يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ [يونس: 3] " اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ [البقرة : 255] " اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ [آل عمران: 2] [2]

ومن أجل الفوائد التي يحققها الإيمان بالأسماء الحسنى أنها تجعل المحصل لها، العامل بها –وهو معنى لفظ إحصائها الوراد في الحديث الشريف عند بعض العلماء– يتمثل قيما عليا تجعله في صورة الإنسان المؤمن الموحد ذي السلوك القويم.

وقد عد علماؤنا الأسماء الحسنى مرجعا أساسيا للقيم المثلى، من خلال تأكيدهم على ضرورة تمثل معاني تلك الأسماء وتحصيلها وجعلها تؤثر في السلوك بشكل

---

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنن، للقرطبي، ص:3
(2) أنظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقي 48/1 وما بعدها

إيجابي. وهو ما يعبر عنه بقولهم: إن نصيب العبد أو حظه من هذا الإسم كذا وكذا... والدعوة إلى التخلق بالمعاني العقدية التي تحملها في نطاق الشرع وفي نطاق ما يليق بالإنسان بوصفه كائنا يحاول أن يرتقي إلى درجات علا.

فمثلا حظ المؤمن من اسم الرحمن أن يكون كثير الرحمة، وحظه من اسم الغفار أن يستر عيوب غيره بقدر ما يستره الله تعالى، وحظه من اسم اللطيف أن يكون رفيقا بالناس، لطيفا بهم في دعوتهم إلى الله تعالى ...[1]

ومن الفوائد التي ينبغي للمسلم أن يحرص على تحقيقها في هذا المجال كذلك هو أن يقدم الأسماء الحسنى أثناء الدعاء مصداقا لقوله تعالى" وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ [الأعراف : 180]

(1) انظر على سبيل المثال شرح أسماء الله الحسنى للإمام الرازي فقد حاول صاحب هذا الكتاب أن يذكر بإزاء كل اسم النصيب الذي ينبغي للمسلم تحصيله. وكذلك فعل الإمام الغزالي في كتابه " المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" وغيرهما...

الصفات الخبرية

الصفات الخبرية:

المراد بالصفات الخبرية مجموع الصفات السمعية التي مصدرها السمع فقط، أو ورود خبر الصادق بها، أو ما كان طريق إثباتها الكتاب والسنة فقط دون استناد إلى نظر عقلي كصفة الوجه واليدين والعينين ... وهي تتضمنها نصوص دينية اصطلح على تسميتها بالنصوص المتشابهة، في مقابل النصوص المحكمة الواضحة التي لا تحتاج إلى تأويل.

وتنقسم الصفات الخبرية إلى قسمين:

صفات ذاتية: وه ي التي تكون لازمة للذات أزلا وأبدا لم يزل تعالى ولا يزال موصوفا بها.[1]

صفات فعلية : ترجع إلى مشيئته تعالى وقدرته كصفة الاستواء والنزول والإتيان والمجيء...

مذهب السلف والخلف:

اعلم أن مذهب السلف وهم الذين كانوا من أهل العلم قبل القرن الثالث الهجري، وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم، والخلف وهم من كان من العلماء بعد نهاية القرن الثالث الهجري قائم على صرف النصوص المتشابهة عن ظواهرها المستحيلة، واعتقاد أن هذه الظواهر غير مرادة للشارع قطعا، استنادا إلى آيات محكمات.

وإذا كان السلف والخلف يتفقون على صرف النصوص عن ظواهرها المستحلية، فإن السلف يفوضون معاني هذه المتشابهات إلى الله تعالى وحده بعد تنزيهه عن ظواهرها، وهذا ضرب من التأويل الإجمالي للنصوص المتشابهة، فإن الخلف اختاروا التأويل التفصيلي للنصوص المتشابهة، أي حمل اللفظ على معنى يسوغ في اللغة العربية ويليق بالله تعالى. بمعنى أن ما فعله الأشاعرة وهم من الخلف إزاء هذه المشكلة هو الاستمرار على مذهب أهل السنة والجماعة مع :" تأويل المتشابه من الكتاب والسنة وتخريجه على ما عرف في كلام العرب من فنون مجازاتها، وضروب بلاغاتها مما يوافق عليه النقل والشرع ويسلمه العقل والطبع."[2]

وقد سار الإمام الأشعري في هذا الموضع على منهج السلف الصالح، وهو يقدم لنا هذا المنهج القويم في صورة إجماع، وعلى أساسه يثبت الصفات السمعية بنوعيها الذاتية

---

(1) – الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام البيهقي، ص: 61. التمهيد للباقلاني، ص: 298.
(2) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، للشيخ أبي العباس أحمد بن خالد الناصري، 140/1

والفعلية.

ففي الباب الذي خصصه هذا الإمام العظيم للأصول التي أجمع عليها السلف "ونبهوا بالأدلة عليها، وأمروا في وقت النبي ﷺ بها" [1] يذكر أنهم "أجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، من غير أن يكون له جوارح، وأن يديه تعالى غير نعمته... وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها... وليس مجيئه حركة ولا زوالا وإنما يكون المجيء حركة وزوالا إذا كان الجائي جسما أو جوهرا، فإذا ثبت أنه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة... وأنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كما روي عن النبي ﷺ وليس نزوله نقلة لأنه ليس بجسم ولا جوهر..."[2]

ويقول في الفصل الذي خصصه لإبانة قول أهل الحق والسنة "... إن الله تعالى استوي على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال... وأن له سبحانه وجها بلا كيف، كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]. وأن له سبحانه يدين بلا كيف كما قال سبحانه: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]. وكما قال: ﴿بَلْ يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: 66]. وأن له سبحان عينين بلا كيف كما قال سبحانه ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14]...[3]

ويحدد الإمام الأشعري معالم المنهج الذي ينبغي اتباعه في باب الصفات عموما وهو ضرب من الإجماع أيضا فيقرر أن السلف: " أجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكييف له لازم."[4]

وإلى هذا المعنى يذهب الحافظ ابن عبد البر فيقرر أن:" الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة - مسألة نزول الله تعالى - وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها، والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منه...".[5]

وعلى هذا الأساس أيضا ينكر الحافظ ابن عبد البر بشدة أن تؤول الصفات الخبرية تأويلا ماديا ملموسا، كما هو الشأن بالنسبة لمن أول حديث النزول من كونه سبحانه

(1) – رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري، ص: 205.
(2) – رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري، ص: 225.
(3) الإبانة لأبي الحسن الأشعري، ص: 21.
(4) رسالة إلى أهل الثغر للإمام الأشعري، ص: 236.
(5) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر 148/7

وتعالى ينزل بذاته ، وهو على كرسيه. فقد رد ذلك واعتبره ضربا من التكييف الذي لا يصدق إلا على ذات مشاهدة على سبيل الإحاطة، فضلا عن عدم شرعية هذا التأويل. فيقرر أن هذا: "ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة، لأن هذا كيفية وهم يفزعون منها، لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عيانا، وقد جل الله وتعالى عن ذلك، وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فلا تتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]. وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة.[1]

لكن إذا ما انتقلنا إلى شيوخ المذهب المتأخرين نرى كثيرا منهم كأبي حامد الغزالي وأبي المعالي الجويني في أحد قوليه، وعبد القاهر البغدادي وأبي المظفر الأسفرايني وسيف الدين الآمدي وفخر الدين الرازي... يتجهون إلى تأويل الصفات الخبرية ويجتهدون في إرجاع مضامينها إلى الصفات المعنوية ، وكان هدف هؤلاء جميعا هو تحقيق التنزيه بشكل مباشر ، وفي صورة مطلقة، اعتمادا على أحكام العقل ، وما تزخر به اللغة العربية من ضروب الاتساع في الاستعارات ، فيحملون مثلا لفظ اليدين على القدرة ، والوجه على الوجود، والعينين على البصر...[2]

مناهج العلماء في توجيه نصوص الصفات الخبرية:

ولما كانت أكثر النصوص الدينية الواردة في أبواب التوحيد، التي تحتاج إلى فهم عميق في إطار تمثل روح الشرع دائما هي الأحاديث النبوية الشريفة، فقد اشتغل بعض علماء العقيدة الأشعرية ببيان معاني هذه الأحاديث، واختيار المعنى الأنسب الذي يصح في أوصافه سبحانه وتعالى، كما فعل الإمام ابن فورك في كتابه" مشكل الحديث وبيانه" فقد اشتغل هذا العالم الجليل بتأويل جملة من الأحاديث النبوية الموهمة للتشبيه والتي تقتضي التأويل حتما مثل حديث"**إن الله خلق آدم على صورته**" والقول بأن الهاء ترجع إلى آدم عليه السلام... مخالفة لمن أثبت لله صورة ثم قال بأنها لا كالصور، وهو تعبير غير شرعي مفض إلى التشبيه. وهو كما قال الإمام ابن فورك:" جهل من قائله، وتوغل في تشبيه الله تعالى بخلقه". [3]

---

(1) التمهيد لما في الموطأ من المعني والأسانيد للحافظ لابن عبد البر144/7.

(2) الإرشاد للجويني، ص: 155.

(3) مشكل الحديث وبيانه، ص: 67 وهذا التأويل الذي رفضه الإمام ابن فورك بشدة هو لابن قتيبة، في كتابه: "مشكل الحديث".

وبالنظر إلى سبب ورود الحديث نجد أنه ورد في سياق النهي عن ضرب الوجه، ففي حديث ابن أبي حاتم عن النبي ﷺ قال:" **إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته.**" [1] أي أن الله تعالى خلق الشخص المضروب على صورة آدم عليه السلام، وهذا توجيه حسن.

أما حديث" **رأيت ربي في أحسن صورة** " فهو حسب تأويل ابن فورك دائما، إما راجع إلى النبي ﷺ ويكون المعنى:" رأيت ربي وأنا في أحسن صورة، أو أن تكون الصورة بمعنى الصفة، ويرجع ذلك إلى الله، وكلا الوجهين سائغ محتمل...[2]

ومن الأمور التي عمل العلماء على تأويلها أيضا مسألة الاستواء، في قوله تعالى:"الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" . [طه : 5]

قال الإمام أبو منصور البغدادي وهو من متكلمي الأشاعرة المرموقين: "... فزعمت المعتزلة أنه بمعنى استولى، وهو باطل، لأنه يوجب أنه لم يكن مستوليا عليه قبل استوائه عليه، وزعمت المشبهة أن استواءه على العرش، بمعنى كونه مماسا لعرشه من فوقه، وبدلت الكرامية لفظ المماسة بالملاقات... واختلف أصحابنا في هذا، فمنهم من قال: إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله. وهذا قول مالك بن أنس وفقهاء المدينة كالأصمعي. وقد روى الإمام البيهقي بسنده سمعت يحيى بن يحيى الليثي يقول: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" [طه : 5] كيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء. ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، فأمر بإن يُخرَج." [3]

وقد روي مثل ذلك عن ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك أيضا. أخرج الإمام البيهقي بسنده قال: سئل ربيعة الرأي عن قول الله تبارك وتعالى:" الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

وقد اعتبر الإمام عبد الرحمن بن الجوزي توجيه ابن قتيبة لحديث الصورة توجيها قبيحا وهو تخليط وتهافت... أنظر كتابه "دفع شبة التشبيه" ص:31

(1) صحيح مسلم، باب النهي عن ضرب الوجه، 31/8

(2) مشكل الحديث وبيانه، لابن فورك، ص: 69.

(3) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للحافظ البيهقي، ص: 119 تحقيق أحمد بن إبراهيم أبو العينين، دار ابن حزم الطبعة الأولى 1999

اسْتَوَى" [طه : 5] كيف استوى ؟ فقال: الكيف مجهول، والاستواء غير معقول، ويجب علي وعليكم الإيمان بذلك كله.[1]

وقد روي أيضا أن مالكا سئل عن الاستواء فقال: الاستواء معقول، وكيفيته مجهولة، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب. ومنهم من قال: إن استواءه على العرش فعل أحدثه في العرش سماه استواء...

وهذا قول أبي الحسن الأشعري ... والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على الملك، كأنه أراد: أن الملك ما استوى لأحد غيره..." [2]

هذا، وقد تمسك بعض من قصر نظره من أهل الظاهر، بظاهر قول إمامنا مالك – رضي الله عنه– : "الاستواء معقول، وكيفيته مجهولة..." بإثبات استواء مادي، وهو خلاف مراد مالك –رحمه الله– الذي" لم يرد أن الاستواء معلوم الثبوت لله، وحاشاه من ذلك، لأنه يعلم مدلول الاستواء، وإنما أراد أن الاستواء معلوم من اللغة، وهو الجسماني، وكيفتيه، أي حقيقته، لأن حقائق الصفات كلها كيفيات، هي مجهولة الثبوت، لله ..." [3]

ولعل الرواية التي اعتمدها الحافظ البيهقي من كون الاستواء غير مجهول، أي من حيث وروده في القرآن الكريم، والكيفية غير معقولة، تزيل اللبس عن ظاهر الرواية المشتهرة على الأسنة اليوم من كون" الاستواء معلوم..." والتي تنتهي حسب تأويلها إلى التجسيم بل تنتهي إلى تضارب عقلي واضح.

وقد نقل الحافظ البيهقي أن متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم قالوا: الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية، ووردت به الأخبار الصحيحة، فقبوله من جهة التوقيف واجب، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز.[4]

ومما يحتج به هؤلاء أيضا في إثبات المكان والجهة التي يتنزه الخالق عز وجل عنها: حديث الجارية: وأنها لما قال لها النبي ﷺ : أين الله؟ وقالت في السماء، فقال: اعتقها فإنها مؤمنة. والنبي ﷺ لم يثبت لها الإيمان بإثباتها المكان لله، بل لأنها آمنت بما

---

1) الأسماء والصفات للإمام للبيهقي 306/2 تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي مكتبة السوادي المملكة العربية السعودية الطبعة الاولى 1993

(2) كتاب أصول الدين، ص:121

(3) مقدمة ابن خلدون، 983/3

(4) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للحافظ البيهقي، ص: 118 تحقيق أحمد بن إبراهيم أبو العينين، دار ابن حزمالطبعة الأولى 1999

جاء به ظواهر أن الله في السماء، فدخلت في جملة الراسخين في العلم الذين يؤمنون بالمتشابه من غير كشف عن معناه، والقطع بنفي المكان حاصل من دليل العقل النافي للافتقار، ومن أدلة السلوب المؤذنة بالتنزيه مثل" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى : 11] وأشباهه، ومن قوله تعالى:" وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ [الزخرف : 84] إذ الموجود لا يكون في مكانين، فليست " في" هنا للمكان قطعا..."[1]

قال الإمام الباجي في تأويل قول الجارية" **في السماء**" لعلها تريد وصفه بالعلو، وبذلك يوصف كل شيء من شأنه العلو، فيقال: مكان فلان في السماء، بمعنى علو حاله ورفعته وشرفه".[2]

وقد ورد حديث آخر في الموطأ يرويه الإمام مالك بن أنس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود: أن رجلا من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ بجارية له سوداء، فقال: يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة، فإن كنت تراها مؤمنة أعتقها. فقال لها رسول الله ﷺ : أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت: نعم: قال: أتشهدين أن محمدا رسول الله ؟ قالت: نعم. قال: أتوقنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت: نعم. فقال رسول الله ﷺ : اعتقها.[3]

فهذا الحديث واضح في بيان كيفية الدخول في الإسلام، وأنه لابد من الإتيان بالشهادتين.

وخلاصة مذهب السادة الأشاعرة في هذا الباب، وهو الصيغة النهائية للمذهب، أن المكلف مخير بين أن يسلم بتلك بالصفات الخبرية، أوتمر كما جاءت، دون أن يعتقد حقيقة مدلولاتها اللغوية، التي يتنزه البارئ تعالى عنها، كما هو مذهب السلف الصالح. أو يؤولها تأويلا تفصيليا يصرفها عن ظواهرها المستحيلة، على نحو تقبله اللغة، ويشهد له الشرع، وهذا مذهب الخلف.

وإلى هذا المعنى يشير صاحب جوهرة التوحيد بقوله:

وكل نص أوهم التشبيها * أوله أو فوض ورم تنزيها.[4]

---

(1) مقدمة ابن خلدون 983/3

(2) المنتقى شرح موطأ مالك، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، 320/8

(3) الموطأ، كتاب العتق والولاء 777/2 تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(4) جوهرة التوحيد من نظم إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني (تـ 1041 هـ) وهي منظومة في العقيدة على طريقة السادة الأشاعرة، تحتوي على 144 بيتا، شرحها كثير من العلماء.

الإيمان

الإيمان

يشكل موضوع الإيمان جانبا مهما من جوانب العقيدة الإسلامية، بل هو قوامها الأساس وأساسها الذي تقوم عليه. إنه العنصر الذي يضئ الطريق، ويوقظ في الإنسان المؤمن شعورا أسمى بما بينه وبين الخالق وبين الكون والإنسان من علاقات متعددة...هذا الإيمان حين يستقر في قلب المؤمن ويصدقه العمل لا شك أنه يثمر الفضائل الإنسانية العليا، ويكون خيرا على صاحبه...

وبالنظر إلى أهمية الإيمان ومكانته في المنظومة الإسلامية، فقد ورد في الشرع اسما لجميع فروع الدين، كما في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام مسلم في صحيحه "**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قولُ لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان** ".[1] ثم إن الإيمان في المنظور القرآني قد يتسع ليشمل جميع العقائد والعبادات والأخلاق والآداب وسائر المعاملات.

مفهوم الإيمان

الإيمان في اللغة هو مطلق التصديق، آمن به إيمانا صدقه، [2] وفي التنزيل " وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ [يوسف : 17] أي بمصدق لنا.

على مستوى الدلالة الشرعية:

الإيمان عند جمهور الأشاعرة هو التصديق المعهود شرعا، أي تصديق الرسول ﷺ في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة، والإذعان لما جاء به وقبوله.

ويقول الشهرستاني وهو يقدم لمذهب الإمام الأشعري في هذا الموضع:" الإيمان هو التصديق بالجنان، وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه، فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى، واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح إيمانه، حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك".[3]

---

(1) صحيح مسلم 6/2 الحياء شعبة من الإيمان.
(2) القاموس المحيد، للفيروزابادي، فصل الهمزة باب النون 199/4 أساس البلاغة للزمخشري مادة أمن، ص: 10
(3) الملل والنحل 101/1

اقتران الإيمان بالعمل

يلاحظ القارئ لكتاب الله تعالى أن الإيمان في معظم المواضيع التي يرد فيها ذكر الذين آمنوا يقرن بينهم وبين العمل الصالح بشكل صريح، وما يترتب عن هذا العمل من نتائج إيجابية في الدنيا وفي الآخرة.

فقد ورد الإيمان مقرونا بالعمل في أكثر من موضع في القرآن الكريم من ذلك:

1. ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة : 25]

2. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ...﴾ [النساء : 57]

3. ﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة : 9]

4. ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ ﴾ [المائدة: 93]

5. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف : 42]

انطلاقا من هذه الآيات البينات نستنتج أن العمل جزء أساس في الإيمان وليس هناك عاقل ينكر هذه الحقيقة الواضحة الجلية. ولكن ما هي منزلة العمل بالنسبة إلى الإيمان؟ مذهب أهل الحق أنه شرط في صحة الإيمان، وليس شطرا منه، بمعنى أنه ليس من مكونات الإيمان الماهوية، أي أنه خارج ماهية الإيمان.

وهذا الاعتقاد هو الذي استقرت عليه العقيدة الأشعرية السنية الجماعية في صيغتها النهائية. وهذه الحقيقة يدركها كل منصف خبير بالمذهب الأشعري. نعم وجدنا من يروج جهلا أو تعصبا أن مذهب الإمام الأشعري في الإيمان هو مجرد تصديق قلبي، أو عقد بالقلب ... كما يقول ابن حزم الأندلسي، ومن ثم لا أهمية للعمل حسب هذا الزعم. وهذا جهل بالمذهب أول من روج له بالغرب الإسلامي ابن حزم الأندلسي ومرده إلى غياب مؤلفات أبي الحسن الأشعري بهذا القطر.[1]

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي266/2

إن الإيمان في العقيدة الأشعرية لا يخرج عن التصديق، كما تشهد بذلك النصوص الدينية واللغوية... وكما يجيب الإمام الأشعري نفسه عن سؤال يطرحه بهذه الصيغة: "إن قال قائل: ما الإيمان عندكم بالله تعالى؟

قيل له: هو التصديق بالله، وعلى ذلك إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن. قال الله تعالى:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ " [إبراهيم : 4]وقال تعالى:" بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ [الشعراء : 195]. فلما كان الإيمان في اللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن هو التصديق وقد قال الله تعالى:" :" وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ [يوسف: 17] أي بمصدق لنا، وقالوا جميعا فلان يؤمن بعذاب القبر والشفاعة، يريدون يصدق بذلك، فوجب أن يكون الإيمان هو ما كان عند أهل اللغة إيمانا وهو التصديق." [1] غير أن للإيمان – كما يذكر ابن فورك وهو يقرر مذهب الإمام الأشعري– شرائع وأمارات وعلامات له تتمثل في الأعمال عموما.[2]

زيادة الإيمان ونقصانه:

مذهب كثير من أئمة السلف أن الإيمان معرفة بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وهؤلاء أدرجوا جميع الطاعات في مسمى الإيمان، وعلى هذا الأساس فإن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. يقول ابن أبي زيد القيرواني في مقدمة رسالته "... وأن الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقص الأعمال فيكون فيها النقصان وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل".[3]

ومن فسر الإيمان بالتصديق كما هو مذهب جمهور الأشاعرة والماتريدية فإنه لا يزيد ولا ينقص " فمن علم وعرف حقا – كما يقول الإمام الجويني– فلا يتفاوت التصديق بالأعمال زادت أو نقصت، وهذا لا يعني أبدا أن الأشاعرة لا يهتمون بالعمل، بل إنهم ليعدون العمل جزءا من الإيمان، ولكن على أساس أنه شرط في كمال الإيمان وصحته وليس شطرا منه، أي من مكونات حقيقة الإيمان كما سلف القول.

وقد ذهب الباقلاني إلى التوفيق بين نصوص الكتاب والسنة التي يرد فيهما زيادة الإيمان ونقصانه، دون الإخلال بأصله الذي هو التصديق، وأرجع ذلك إلى أحد أمرين:

---

(1) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص: 154

(2) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري تأليف الإمام محمد بن الحسن بن فورك ص155

(3) باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات بشرح القاضي عبد الوهاب ص:342.

الأمر الأول: إما أن يكون ذلك راجعا إلى القول والعمل دون التصديق، لأن ذلك يتصور فيهما مع بقاء الإيمان، فأما التصديق فمتى انخرم منه أدنى شيء بطل الإيمان، وبيان ذلك أن المصدق بجميع ما جاء به الرسول عليه السلام إذا ترك صلاة أو صياما ... أو غير ذلك من الواجبات لا يوصف بالكفر بمجرد الترك مع كمال التصديق وثباته عليه. وبالضد من ذلك لو فعل جميع الطاعات، وأقر بجميع الواجبات، وصدق بجميع ما جاء به الرسل إلا تحريم الخمر أو نكاح الأم ولم يفعل واحدا منهما فإنه يوصف بالكفر وانسلخ من الإيمان، ولا ينفع جميع ذلك مع انخرام تصديقه في هذا الحكم الواحد، فيجوز نقص الإيمان وزيادته من طريق الأقوال والأفعال، ولا يجوز من طريق التصديق.

والأمر الثاني: في جواز إطلاق الزيادة والنقصان على الإيمان يتصور أيضا أن يكون من حيث الحكم لا من حيث الصورة، فيكون ذلك أيضا في الجميع من التصديق والإقرار والعمل، ويكون المراد بذلك الزيادة والنقصان راجعا إلى الجزاء والثواب، والمدح والثناء دون نقص وزيارة في تصديق من حيث الصورة..."[1]

وحتى الذين مالوا إلى مسألة الزيادة والنقصان في الإيمان قالوا إن النقصان لا يصل إلى حد انتفاء اسم الإيمان وحكمه، بل هو مجرد نقص الكمال دون إحباط الأعمال. وهذا القول القصد منه صيانة الإنسان المسلم عن عقيدة التكفير التي لا مكان لها في مذهب أهل السنة والجماعة قاطبة.

مستويات الزيادة والنقصان في الإيمان

ذهب الذين قالوا بزيادة الإيمان ونقصانه إلى أن هناك مستويات لهذه الزيادة والنقصان:

- إيمان يزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: بمقتضى أن الكمال يقبل الكمال فقط.
- إيمان ثابت لا يزيد ولا ينقص وهو إيمان الملائكة، بمقتضى أن إيمانهم جبلي لا يتفاوت.
- إيمان يزيد وينقص وهو إيمان الأمة من الإنس والجن.
- إيمان ينقص ولا يزيد، وهو إيمان الفساق.

الإيمان والإسلام:

(1) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ص: 56

ذهب جمهور الأشاعرة إلى أن الإيمان شيء والإسلام شيء آخر، كما ذهب جمهور الماتريدية والمحققين من الأشاعرة إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد. ومن الأدلة التي يتمسك بها هؤلاء:

- قوله تعالى:" إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً [الأحزاب : 35] ووجه الدلالة أن الله تعالى عطف المؤمنين على المسلمين والعطف يفيد المغايرة، فدل على أن الإسلام شيء والإيمان شي آخر.

- الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال:" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره..." [1]

وحسب هذا الحديث الشريف فإن هناك فرقا واضحا بين الإسلام والإيمان، الأول يتضمن العمل بشرائع معلومة، والثاني يعني التصديق بأمور معلومة أيضا.

قال ابن حجر العسقلاني: ظاهر سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام وجوابه يقتضي تغايرهما، وأن الإيمان تصديق بأمور مخصوصة والإسلام إظهار أعمال مخصوصة.[2]

- اللغة فإن معنى الإيمان ليس هو معنى الإسلام، فالإيمان هو التصديق والإسلام هو الخضوع.

وقد ذهب الإمام الغزالي وهو من الأشاعرة إلى أن الإسلام يطلق شرعا على ثلاثة معان:

الأول: بمعنى الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح، مع إطلاق الإيمان على التصديق وبذلك يكون الإسلام والإيمان مختلفين.

الثاني: أن يكون الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا، ويكون الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب، فالإيمان أخص من الإسلام.

الثالث: أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا وكذا الإيمان وعلى هذا فالإسلام والإيمان مترادفان.

---

(1) صحيح مسلم كتاب الإيمان، بشرح النووي 157/1
(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، 153/1

ومهما يكن من شيء فإن هناك علاقة عموم وخصوص بين الإسلام والإيمان، ذلك أن المسلم كما قال الخطابي قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمنا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا.

أصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون صادقا في الباطن غير منقاد في الظاهر. (1)

وإلى هذا الرأي ذهب الباقلاني أيضا حيث اعتبر" أن كل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيمانا، لأن معنى الإسلام الانقياد، ومعنى الإيمان التصديق، ويستحيل أن يكون مصدق غير منقاد، ولا يستحيل أن يكون منقاد غير مصدق ...(2)

الاستثناء في الإيمان

هل يجوز للإنسان المؤمن أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله. أو أنا مؤمن حقا ؟

هذه المسألة بحثها علماء العقيدة وأفردوا لها مبحثا خاصا تحت اسم: الاستثناء في الإيمان. ويتحدد مفهوم الاستثناء في الإيمان بتعليق الإيمان بمشيئته تعالى، كقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله. وقد أجاز الأشاعرة هذا الأمر، بناء على ما يتوفى عليه الإنسان، وهذا ليس تشكيكا منهم في أصل الإيمان، بل كل ما في الأمر أنهم ربطوا الإيمان بما يتوفى عليه الإنسان. وقد وضع الباقلاني هذه المسألة في صورة منهجية وذلك كالآتي:

"... ويجب أن يعلم أنه يجوز للعبد أن يقول، أنا مؤمن حقا، وهو يقصد في الحال. كما يجوز له أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله ويعني به في المستقبل. فأما في الماضي أو الحال، فلا يجوز أن يقول إن شاء الله، لأن ذلك يكون شكا في الإيمان.(3)

ويربط الإمام الأشعري بين الموافاة أي ما يتوفى عليه الإنسان وبين علم الله تعالى، وعلى هذا الأساس فإن" من يكون عند الله تعالى مؤمنا على الحقيقة هو الذي سبق علم الله تعالى به أن عاقبة أمره تكون كذلك... وهذا هو القول بالموافاة، ومعنى الموافاة اعتبار عاقبة الأمر في حال المؤمن والكافر، وما يوافي ربه عليه في القيامة، وعلى ذلك تعلق وعده ووعيده ورضاه وسخطه وحبه وبغضه وولايته وعدوانه..."(4)

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي 145/1

(2) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص: 57

(3) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص:60.

(4) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، تأليف الإمام ابن فورك، ص: 164

كما فرق الإمام الأشعري في هذا الصدد بين اعتبارين: عندما يتعلق الأمر بالحكم على إنسان آخر بأنه مؤمن حقا أو مؤمن إن شاء الله، بناء على ما عند الله تعالى وما عندنا "فالذي عند الله تعالى هو الذي تعلق به حكمه وعلمه ومشيئته ورضاه ووعده وثوابه... والذي عند الناس هو ما تتعلق به أحكام الشرع في الظاهر، مع جواز أن يكون في الباطن خلافه... وعلى هذا الأصل يبنى الكلام في إطلاق القول بأن فلانا مؤمن حقا أو بأنه مؤمن حكما باتا من غير ذلك "إن شاء الله" لأنا إذا أردنا ما عند الله من هذا الحكم، ولم نطلع عليه بخبر صادق عنه. ولم يكن لنا أن نقطع به، بل الواجب أن نتوقف فيه ونكله إلى مشيئته وعلمه وهو المطلوب بالوعد والثواب والرضا... [1]

(1) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، لابن فورك ص164

حكم مرتكبي المعاصي

حكم مرتكبي المعاصي

إذا كان كثير من أهل العلم قد قالوا إن الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة فإن أهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم... وقوله ﷺ :" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن... " يريد أنه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهو من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره. (1)

إن الإنسان العاصي يظل مؤمنا ولا يزول عنه اسم الإيمان، والدليل على ذلك أن الله تبارك وتعالى قد خاطب العصاة وأمرهم بالتوبة فقال:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً [التحريم : 8] فخاطبهم بالإيمان وأمرهم بالتوبة.(2)

ومن الأدلة على صحة هذا المذهب أن " مرتكب الكبيرة مؤمن، وبيان كونه مؤمنا أنه متصف بالإيمان. وبيان اتصافه بالإيمان أنه متصف بالتصديق بالله تعالى ولا معنى للإيمان بالله تعالى غير التصديق به... وإذا كان مؤمنا فلا يكون كافرا إذ الكفر ضد الإيمان، وضد الإيمان لا يكون مجامعا للإيمان...

كما أن الأمة من السلف مجمعة على إيمان من صدرت عنه الكبيرة، وعلى دخوله في زمرة المؤمنين."(3)

مسألة التكفير بالذنوب:

من المسائل التي احتدم فيها النزاع بين الفرق الإسلامية ولها ارتباط وثيق بقضية الإيمان مسألة التكفير بارتكاب الكبيرة:

لقد رأينا الإمام الأشعري -رحمه الله- في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" وهو يقدم لنشأة الفرق الإسلامية أن الإسلام يتسع ليشمل جميع الفرق على الرغم من الاختلافات العديدة بينها التي تصل إلى حد الشذوذ فيقول: " اختلف الناس بعد نبيهم ﷺ في أشياء كثيرة، ضلل فيها بعضهم بعضا، وبرئ بعضهم من بعض، فصاروا فرقا متباينين، وأحزابا متعارضين، إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم".(4)

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، باب نقصان الإيمان بالمعاصي45/1
(2) العقيدة النظامية للإمام الجويني، ص:252.
(3) أبكار الأفكار في أصول الدين، للآمدي 31/5
(4) مقالات الإسلاميين للإمام الأشعري ص:1

لقد أعلن الإمام الأشعري كما أعلن الإمام أبو حنيفة من قبل أن الإيمان هو التصديق بالله، وهذا المعنى أفاده إجماع أهل اللغة ، ومن وراء هذا التحديد اللغوي مقاصد عقدية تتمثل أساسا في اعتبار الفاسق من أهل القبلة مؤمنا بإيمانه ، فاسقا بفسقه وكبيرته، مخالفة للتيار الاعتزالي الذي جعله في منزلة بين المنزلتين، وضدا على التيار الخارجي الذي قضى بتكفيره.

ويتفرع على هذا الأصل مبدأن أساسيان في المذهب الأشعري:

الأول: أن مرتكب الكبيرة مؤمن وليس بكافر كما يقول الخوارج.

الثاني: أنه ليس ثمة منزلة بين الإيمان والكفر إذ " لو كان الفاسق لا مؤمنا ولا كافرا ، لم يكن منه كفر ولا إيمان، ولكان لا موحدا ولا ملحدا ، ولا وليا ولا عدوا، فلما استحال ذلك استحال أن يكون الفاسق لا مؤمنا ولا كافرا، كما قالت المعتزلة.

وأيضا فإذا كان الفاسق مؤمنا قبل فسقه بتوحيده، فحدوث الزنا بعد التوحيد لا يطال اسم الإيمان الذي لم يفارقه." [1]

لقد عظم على الإمام الأشعري باعتباره رائدا روحيا كبيرا لأغلب المسلمين تكفير المخالفين في الرأي من أهل القبلة فقرر في معرض عرضه لمذهب أهل الحق والسنة بقوله: " وندين بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه ، ما لم يستحله، كالزنا والسرقة وشرب الخمر ، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون، ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر ، مثل الزنا والسرقة وما أشبهها مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا. "[2]

وهذا الموقف سيتحول عند الإمام الأشعري إلى أصل من أصول عقائد السلف المجمع عليها فيقرر بأن " السلف مجمعون على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما ادعاه النبي ﷺ إلى الإيمان به، لا يخرجه عنه شيء من المعاصي، ولا يحبط إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع ، غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم..." .[3]

وفي عرضه لعقيدة أصحاب الحديث وأهل السنة يشير الإمام الأشعري أيضا إلى أن من جملة ما اتفقوا عليه هؤلاء أنهم " لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو

---

(1) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للإمام الأشعري، ص: 154.
(2) الإبانة عن أصول الديانة للإمام الأشعري ص 26.
(3) رسالة إلى أهل الثغر للإمام الأشعري ص 274.

الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر".[1]

ثم يقول في نهاية عرضه لعقيدة أهل الحديث أنه " بكل ما ذكره من قولهم يقول به وإليه يذهب".[2]

رؤية الله تعالى في الآخرة

1)- مقالا ت الإسلاميين للإمام الأشعري ص 292.
2 - مقالات الإسلاميين للإمام الأشعري ص 297.

رؤية الله تعالى في الآخرة:

من الأمور الجائزة عليه سبحانه وتعالى أن يراه المؤمنون في الآخرة، إكراما وتشريفا لهم، وتفضلا منه سبحانه وتعالى.

وقد تظافرت الأدلة السمعية من الكتاب والسنة المتواترة على وجود الرؤية في الآخرة، منها قوله تعالى:

" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ.إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة : 22-23]

وقوله جل شأنه مخبرا عن سؤال موسى عليه السلام أن يراه بقوله:

" قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ [الأعراف : 143] وهذا السؤال من موسى عليه السلام يدل على جواز الرؤية، ونفي استحالتها. أما قوله تعالى في الآية نفسها:" قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي " [الأعراف: 143] فإنه سبحانه وتعالى نفى الرؤية ثم علقها على استقرار الجبل، وهو يعلم أنه لن يستقر، فكأنه علقها على أمر مستحيل، فتكون الرؤية مستحيلة من هذا الوجه. ويكون معنى قوله تعالى [لَن تَرَانِي] أي في الدنيا.[1]

ويقول الباقلاني في تعليقه على الآية السابقة:" والدليل على جوازها –الرؤية– من حيث العقل سؤال موسى عليه السلام... ويستحيل أن يسأل نبي من أنبياء الله تعالى مع جلالة قدره وعلو مكانه ما لا يجوز عليه سبحانه، ولولا أنه اعتقد جوازها لما سألها...[2]

ومن السنة النبوية الحديث المشهور الذي يقول فيه ﷺ :" **ترون ربكم لا تضامون في رؤيته، كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب**".[3]

أما من حيث العقل فيكفي أن نعلم أنه سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود يصح أن يُرى.

وإذا كانت رؤية الله تعالى جائزة شرعا وعقلا وواقعة في الآخرة، فإن هذه الرؤية تكون بلا تكييف ولا تشبيه ولا تحديد.

---

(1) شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص 248.
(2) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ص: 47
(3) صحيح البخاري، في تفسير القرآن [سورة ق] ومسلم في المساجد فضل صلاتي الصبح والعصر حديث رقم 633

النبـــــوات

النبوات:

من الأمور الجائزة على الله تعالى من حيث العقل، ووجوب الإيمان بها من حيث الشرع إرسال جميع الرسل والأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، تفضلا منه سبحانه وتعالى ورحمة" رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً. [النساء : 165]

وقد أوجب الله تعالى على المكلف الإيمان بجميع الرسل دون تفريق بينهم فقال سبحانه :" قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [البقرة : 136].

تعريف كل من الرسول والنبي

الرسول إنسان ذكر حر سليم من منفر طبعا، أوحي إليه بشرع وأمر بتليغه، وقيل له كتاب أو نسخ لبعض شريعة من قبله.

والنبي إنسان ذكر حر سليم من منفر أوحي إليه بشرع مطلقا، وقيل : وأمر بتليغه. فمن أوحي إليه بشرع وأمر بتليغه وله كتاب أو نسخ لبعض شرع من قبله رسول ونبي باتفاق، فإن أمر بالتبليغ وليس له كتاب ولا نسخ كيوشع بن نون وإسماعيل فنبي اتفاقا.[1]

الحاجة إلى الرسل

اعلم أن النبوة وإن كانت جائزة على الله تعالى من حيث العقل غير أنها من أعظم أركان الدين، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يرسل رسلا تفضلا منه ورحمة لما في ذلك من مصالح دينية ودنيوية.

فقد بعث الله تعالى الرسل لبيان الأحكام التكليفية المتمثلة في أمره ونهيه وإباحته... وليعلموا الناس ويرشدوهم إلى معرفة حقائق التوحيد الخالص، ويدلوهم على الخير والشر، وكل ما يقيم حياتهم على نحو أفضل، ويسلك بهم مسلك النجاة في آخرتهم... خصوصا وأن العقل لا يستقل في إدراك بعض الحقائق الإيمانية التي تندرج ضمن الإيمان بالغيب.

---

(1) حاشية محمد الطالب بن الحاج على ميارة 61/1

لقد بعث الله الرسل ليكشفوا للعقول :" من شؤون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه، وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الأخروية، وأن يبنوا للناس من أحوال الآخرة ما لابد لهم من علمه، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم، ولا يبعد عن متناول أفهامهم، وأن يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم، وكبح شهواتهم، وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله، اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في إجماله...[1]

وإذا كان بعث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة عند الأشاعرة لكن بعد الانبعاث تأييدهم بالمعجزات وعصمتهم من الموبقات من جملة الواجبات...[2]

صفات الرسل

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الرسل بشرا من جنس المرسل إليهم حتى يكونوا أكثر صلة بالناس وأعرف بمشاعرهم وأحاسيسهم ليكونوا قدوة للناس فيما يبلغونه عن الله عز وجل ، واختيار ملك يبلغ رسالة الله إلى الرسول ليبلغها هو إلى الناس شيء طبيعي، ما دام عالم الملائكة مختلفا عن عالم الإنسان . قال تعالى :" قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً [الإسراء : 95].[3]

ومن الصفات الضرورية التي دل الشرع والعقل على ثبوتها للرسل عليهم الصلاة والسلام:

الأمانة: ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم من المعاصي والمكروهات. ويعبر علماء العقيدة عن الأمانة بالعصمة أيضا، وهي ملكة نفسانية تمنع صاحبها الفجور.

وبهذا التفسير يكون معنى العصمة : هو حفظ الله تعالى لظواهر الأنبياء وبواطنهم من كل عمل منهي عنه، في الصغر والكبر ، قبل النبوة وبعدها . فلا يصدر عنهم ذنب ولا يرتكبون معصية. [4]

ويتفرع عن هذه الصفة الكلام في عصمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من خلال العناصر الآتية:

---

(1) رسالة التوحيد الشيخ محمد عبده، ص:150.
(2) الملل والنحل، للشهرستاني، 102/1
(3) مقارنة الأديان أحمد شلبي ج 3 ص 119
(4) شرح جوهرة التوحيد الباجوري ص174

أولا: مفهوم العصمة: العصمة لغة تعني المنع والوقاية والحفظ، وفي اصطلاح علماء العقيدة تعني: حفظ الله تعالى لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام من الذنب مع استحالة وقوعه.

ثانيا: العصمة قبل النبوة: الذي نرتضاه معتقدا في هذا الموضع أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كانو معصومين قبل البعثة، فلا يصدر عنهم ذنب بحال. وهذا الامتناع إنما استفدناه من الشرع الحكيم دون العقل، لأن ما يسمى معصية في العرف إنما يكون بعد تقرير الشرع نفسه أنها معصية...

ثالثا: العصمة بعد النبوة: أجمع أهل الحق على عصمة الأنبياء والرسل بعد النبوة، وهذا هو الأليق بخير من اصطفاهم الله تعالى لهداية الناس إلى الطريق المستقيم.

الصدق: وهو ضد الكذب، ومعناه مطابقة الخبر للواقع، أو موافقة الخبر لما في نفس الأمر، إي لما عند الله تعالى، سواء وافق اعتقاد المخبر أم لا.[1]

وإذا كان الصدق واجبا في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام في كل ما يبلغونه ويخبرون عنه فإن اتصافهم بالكذب محال. والدليل على ذلك أنهم لو لم يكونوا صادقين للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني ...[2]

الفطانة: ومعناها الحذق وسرعة الفهم والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم ودحض حججهم، بحيث يستطيعون إقامة الدليل على صدق ما يدعون إليه ، ويبطلون شبه المخالفين لهم.[3]

وهذا واقع جميع الأنبياء والمرسلين قال تعالى : وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ [الأنعام : 83] وقال أيضا :" قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [هود : 32] وقال لنبيه محمد ﷺ :" وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [النحل : 125].

التبليغ: معناه لغة الإيصال، والمقصود بهذا اللفظ في هذا الموضع أنهم عليهم الصلاة والسلام يبلغون جميع ما أمرهم الله تعالى بتبليغه، ولا يتصور كتمانهم لشيء من ذلك، قال

---

(1) شرح أم البراهين للملالي، ص:77.
(2) شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص:278
(3)شرح جوهرة التوحيد الباجوري ص 278/ شرح جوهرة التوحيد سليمان القضاة ص162

تعالى :" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [المائدة : 67].

فهذه الصفات الأربعة مما يجب على المكلف اعتقادها في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، واعتقاد استحالة اتصافهم بأضدادها ، وهي كما سلف: الصدق، وضده الكذب، والأمانة، وضدها الخيانة، والتبليغ، وضده الكتمان. والفطانة وضدها الغفلة.

وهذه الصفات الأربعة التي أتينا على ذكرها هي المتداولة فى علم التوحيد، وهي من الشروط العقلية للنبوة. أما اللشروط الشرعية العادية فهي البشرية، والحرية، والذكورة، وكمال العقل، والذكاء، وقوة الرأي، والسلامة من كل ما ينفر من الإتباع حال النبوة.

ومنها أيضا كونه أعلم من جميع من بعث إليهم بأحكام الشريعة المبعوث بها أصلية كانت أو فرعية.(1)

بشرية الرسل

هذه المسألة بالغة الأهمية عند علماء العقيدة، وبسبب عناية الإسلام بها لم تجد المعتقدات الوثنية سبيلا لعقول المسلمين، بل لم يعرف الفكر الإسلامي عبر تاريخه تلك الضلالات التي عرفتها بعض الأمم السابقة. كتأليه الأنبياء أو النابغين من المفكرين، فقد أله المسيحيون عيسى عليه السلام، وأله البوذيون بوذا ... في حين ظل محمد ﷺ محافظا على بشريته المتميزة بتلقي الوحي ، وأصبح هذا الأمر حقيقة واضحة مسلما بها.(2)

ولقد تحدث علماء العقيدة عن الصفات الجائزة في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقرروا في هذا الصدد أصلا مهما وهو القول بجواز اتصاف الرسل والأنبياء بسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم أو الإخلال بمقاماتهم العلية كالمرض والعمى والبرص وغير ذلك من الأمور المنفرة ...(3)

ومن النصوص الدينية التي تعزز هذا الجانب:

فقال تعالى " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً [الكهف : 110].

---

(1) شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص:280.
(2)مقارنة الأديان أحمد شبلي . ج 3 ص 119 .
(3) شرح جوهرة التوحيد، للباجوري، ص: 282.

وقال أيضا:" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ [فصلت : 6].

وقال أيضا :" قُل لاَّ أَمْلِكُ لنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف : 188].

وقال أيضا:" قُل لاَّ أَمْلِكُ لنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ [يونس : 49].

وقال أيضا:" وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران:144].

أما دليل جواز وقوع الأعراض البشرية على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والتي لا تؤدي إلى نقص كما سلف القول، فمشاهدة وواقعة فعلا. وهذا كما يقول بعض العلماء "إما لتعظيم أجورهم أو للتسلي عن الدنيا أو للتنبيه لخسة قدرها عند الله تعالى وعدم رضاه بها دار جزاء لأنبيائه وأوليائه باعتبار أحوالهم فيها عليهم الصلاة والسلام ..." [1]

(1) أم البراهين، للسنوسي، مع حاشية الدسوقي، ص:245.

المعجزة والكرامة

المعجزة والكرامة:

من فضل الله سبحانه وتعالى وتكرمه وإحسانه أن أيد رسله وأنبياءه بالمعجزات الدالة على صدقهم. من غير وجوب عقلي، لأنه لا يجب على الله شيء من أحد من خلقه، كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة.

كما أن من الأمور الجائزة والواقعة عند السادة الأشاعرة كرامات الأولياء، يقول صاحب جوهرة التوحيد:

وأثبتن للأوليا الكرامة * ومن نفاها فانبذن كلامه

أولا: المعجزة

المعجزة لغة مأخوذة من العجز، ضد القدرة، وعرفا: فعل الله تعالى الخارق للعادة، المقارن لدعوى الرسالة، متحدي به قبل وقوعه، غير مكذب، يعجز من يبغي معارضته عن الإتيان بمثله.(1)

ويعرفها الشهرستاني بأنها: فعل خارق للعادة، مقترن بالتحدي، سليم عن المعارضة، يتنزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة.(2)

كما يعرفها أحد شراح الجوهرة بأنها: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة، مع عدم المعارضة.(3)

ويعرفها سيف الدين الآمدي بأنها:" كل ما قصد به إظهار صدق المتحدي بالنبوة المدعي الرسالة..."(4)

وقد ذكر علماء العقيدة للمعجزة عدة قيود نجملها في الآتي:

- أن تكون قولا –كالقرآن– أو فعلا كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ أو تركا، كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

---

(1) شرح السنوسية الكبرى، للإمام أبي عبد الله السنوسي، ص: 351.

(2) الملل والنحل للشهرستاني، 102/1

(3) شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص: 298

(4) غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي، ص:286.

- أن تكون خارقة للعادة. والعادة ما درج عليه الناس، واستمروا مرة بعد أخرى، فغير الخارق ليس بمعجزة، كما إذ قال: آية صدقي طلوع الشمس من المشرق وغروبها من حيث تغرب.

ومن هنا تعلم أن المعجزة إنما تخرق أمرا عاديا ليس إلا، ولا شأن لها بقوانين العقل، وبسبب إهمال هذا القيد، مال بعض الكتاب المعاصرين الذين افتتنوا بالمنهج العلمي، ولم يتصورا حقيقة النبوة تصورا شرعيا، إلى إنكار معجزات الأنبياء، ظنا منهم أنها تخالف قوانين العقل.

فإذا لابد : "إذا كان الله جاعل نظام العالم، وكان مختارا في جعله، أن يقدر على تغييره متى شاء. فالله تعالى في عقيدة المؤمن إذا شاء سلب الأشياء ما جرت سننه فيها، ويكون هذا السلب خرقا منه للعادة، لا خرقا للعقل، حتى يكون محالا، فكما تكون إماتة الأحياء من القتلة بإذن الله، يكون إحياء الموتى من أنبياء الله بإذنه، ولا فرق بين الحالين إلا بكثرة وقوع الأول، وقلة وقوع الثاني، مع تساويهما في الإمكان..."[1]

- أن تكون على يدي مدعي النبوة أو الرسالة، فتخرج الكرامة والمعونة والاستدراج والإهانة من حد المعجزة.

فأما الكرامة فهي ما يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح. وأما المعونة فهي ما يظهره الله تعالى على يد العوام، تخليصا لهم من شدة. وأما الاستدراج فهو ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكرا. وأما الإهانة فهي ما يظهر على يد الفاسق تكذيبا له، كما وقع لمسيلمة الكذاب، فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة، وتفل في بئر لتعذب مياهه فغارت.

- أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكما بأن تأخرت بزمن يسير.

- أن تكون موافقة للدعوى. وخرج المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

- أن لا تكون مكذبة له. فخرج المكذبة، كما إذا قال: آية صدقي: نطق هذا الجماد، فنطق بأنه مفتر كذاب.

---

(1) موقف العقل والعم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، الشيخ مصطفى صبري 32/4

- أن تتعذر معارضته. فخرج السحر، ومنه الشعوذة، وهي خفة اليد، يرى أن لها حقيقة، ولا حقيقة لها، إذ السحر ليس من الخوارق، لأنه معتاد عند متعاطي أسبابه.

- أن لا تكون في زمان نقض العادة، كزمن طلوع الشمس من مغربها، خرج أيضا ما يقع من الدجال، كأمره للسماء أن تمطر فتمطر...[1]

ثانيا: الكرامة:

من الأمور الجائزة والواقعة عند الأشاعرة كرامات الأولياء، يقول صاحب جوهرة التوحيد:

وأثبتن للأوليا الكرامة * ومن نفاها فانبذن كلامه

فما معنى الولي ؟ وما معنى الكرامة؟

الولي: هو العارف بالله تعالى، المواظب على الطاعة، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في الملذات والشهوات المباحة. وقد سمي الولي وليا لأن الله تعالى تولى أمره، فلا يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة.

الكرامة: هي أمر خارق لعادة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح يلتزم بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم مصحوبا بتصحيح الاعتقاد والعمل الصالح.[2]

ومن الشواهد النقلية الدالة على ثبوت الكرامة قصة مريم عليها السلام وما اختصت به من ضروب الآيات، فقد كان زكرياء صلوات الله عليه يصادف عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويقول معجبا: أنى لك هذا. وإلى هذا يشير القرآن الكريم، قال تعالى:" َتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" [آل عمران : 37]

وقصة أصحاب الكهف وما جرى لهم من الآيات ولم يكونوا أنبياء إجماعا...

وصفوة القول: فقد اتفق أهل الحق على جواز انخراق العادات في حق الأولياء.

---

(1) شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص: 297

(2) شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص: 340 تحقيق محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تتان.

خصائص نبوة سيدنا محمد ﷺ

خصائص نبوة سيدنا محمد ﷺ

اعلم أن الله تعالى خص نبينا محمدا ﷺ بخصائص كثيرة منها:

• أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى:" مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً [الأحزاب : 40]. ويترب على هذا الأصل دوام شريعته وعدم نسخها إلى قيام الساعة. وأنها ناسخة لجميع الشرائع السابقة.

• عموم بعثته عليه الصلاة والسلام للثقلين: أي للجن والإنسن، لقوله تعالى:" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [سبأ: 28] وقوله عز وجل في حقه ﷺ :" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الأنبياء: 107]، وقوله أيضا:" تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً [الفرقان: 1]. ويترتب عن هذا المعتقد كذلك أن الرسالة الإسلامية جاءت عامة وصالحة لكل زمان ومكان. ف إذا كانت رسالة الأنبياء السابقين خاصة بالقوم الذين بعثوا فيهم، فإن رسالة نبينا محمد ﷺ التي هي خاتمة الرسالات جاءت عامة، كما مر في النصوص الصريحة السابقة. التي تؤكد عالمية الرسالة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، لما تنطوي عليه من تشريعات كونية سامية، وقيم نبيلة عالية، تهدف إلى تحقيق السعادة والخلاص للبشرية جمعاء.

• من أبلغ المعجزات التي اختص بها نبينا محمد ﷺ القرآن الكريم، وه و معجزة عامة وخالدة، ستظل تحمل في ثنايا ها ألوانا من التحديات ، في كل زمان ومكان. فضلا عما اختص هذا الكتاب الكريم من جزالة اللفظ والنظم والفصاحة، واشتماله على قصص الأولين، وما فيه من أخبار الأمم الماضية، إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز الكثيرة، مع القطع أنه ﷺ كان أميا لا يكتب ولا يقرأ، ولم يعهد منه ﷺ في جميع زمانه تعاطي لدراسة كتب، ولا تعلمها. وقد نفى سبحانه وتعالى ذلك بقوله:" وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت : 48]. [1]

• شفاعته لأهل الكبائر من أمته: وقد أجمع أهل السنة والجماعة على هذا الأمر، كما تظافرت الأدلة على صحة الشفاعة، فمن الكتاب قوله تعالى:" عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً [الإسراء : 79] وقد فسر عدد من الصحابة رضي الله عنهم المقام المحمود بالشفاعة العظمى المختصة به قطعا.

---

(1) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ص: 62

وفي الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" **كل نبي سأل سؤالا، أو قال: لكل نبي دعوة قد دعا لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي.**"[1]

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" **إن لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا.**" [2]

ومعنى شفاعته ﷺ أي عفوه سبحانه وتعالى على طائفة من أمته بعد نفاذ وعيده، فيخرجون من من النار بشفاعته ﷺ . كما يتناول مفهوم الشفاعة شفاعته ﷺ في زيادة الدرجات لأهل الجنة، ومنها شفاعته ﷺ في إدخال قوم الجنة بغير حساب، ومنها شفاعته في عدم دخول قوم النار بعد أن استحقوها وفي خروج الموحدين من النار...[3]

ويقول ابن أبي زيد القيرواني:" **إنه يُخرج منها بشفاعة الرسول ﷺ من شفع له**" قال القاضي عبد الوهاب: فمذهب أهل السنة وأئمة الملة والأخبار متواترة به على المعنى وإن اختلفت ألفاظه...[4]

- **الحوض:** من الأمور التي أعطاها الله تعالى لنبيه الكريم محمد ﷺ حوض في الجنة ترده أمته لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدل وغير.

وقد ورد في الحديث الصحيح قوله ﷺ :" **حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه لا يظمأ بعده أبدا.**"[5]

وهناك من العلماء من فسر قوله تعالى " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ [الكوثر: 1] بالحوض الذي اختص به رسول الله ﷺ .

قال الإمام القرطبي:"... اختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ على ستة عشرة قولا: الأول أنه نهر في الجنة رواه البخاري عن أنس والترمذي أيضا... الثاني، أنه حوض النبي ﷺ في الموقف، قاله عطاء، وفي صحيح مسلم عن أنس قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ غفي إغفاء، ثم رفع رأسه متبسما فقلنا: ما

---

(1) صحيح البخاري تعليقا: 6305 صحيح مسلم 200. مسند أحمد،

(2) صحيح البخاري، آخر كتاب الرقاق (6304) (7474)، صحيح مسلم 199.، سنن الترمذي 3602، سنن ابن ماجه، 4307.

(3) شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص: 428-431، شرح السنوسية الكبرى المسماة: عمدة أهل التوفيقوالتسديد، للإمام أبي عبد الله السنوسي، ص:405 الإبانة عن أصول الديانة للإمام الأشعري، ص: 245، شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني للقاضي عبد الوهاب، ص: 334.

(4) شرح عقيدة ابن أبي زيد القرواني للقاضي عبد الوهاب، ص: 284/ أنظر أيضا الإبانة للإمام الأشعري، ص: 241

(5) صحيح البخاري، الرقاق باب 53. صحيح مسلم، الفضائل باب 9 حديث رقم 2292

أضحكك يا رسول الله ؟ قال": نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم:" إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ [الكوثر : 1،3] ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هو فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيُخلج العبد منهم فأقول إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك."[1]

وقد وردت في وصف الحوض وبيان صفاته أحاديث صحيحة كثيرة مما يجعل الإيمان به واجبا والتصديق به فرضا.[2]

الإيمان بالكتب

إن الإيمان بالكتب ركن من أركان الإيمان، ومعنى الإيمان بالكتب، أي التصيدق بأنها كلام الله تعالى، وأن ما تضمنته حق. ولهذا العنصر علاقة بالعنصر الذي قبله، أي النبوة. فـينبغي للمكلف أن يؤمن بكل ما أنزل الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، من كتب، وأنها وحي الله إليهم.

ولم يكلفنا الله تعالى تفصيل ذلك لا من حيث العدد ولا من حيث كيفية نزولها. بل يكفي أن نؤمن بالكتب إجمالا فيما لم نعلم ولم يرد فيه نص صريح، وتفصيلا فيما أوضحه الشرع، وأرشد إليه، كالإيمان بأربعة كتب على وجه التفصيل هي: صحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن. وقد أنزل الله بعضها في ألواح وبعضها بواسطة الملك كما أن بعض أحكامها نسخت...

ومن الأدلة على وجوب الإيمان بالكتب:

قوله تعالى:" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة : 285].

قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً [النساء : 136] [النساء : 136].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 214/20

(2) أنظر على سبيل المثال صحيح مسلم ، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ 9/7 / الإبانة عن أصول الديانة للإمام الأشعري، ص: 245

قوله تعالى:" وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ [التحريم : 12]

وإذا كان الإيمان بالرسل يقتضي ضرورة الإيمان بالكتب المنزلة عليهم على أساس أنها وحي الله تعالى إليهم كما سلف، فإن من مقتضيات الإيمان بهذه الكتب أيضا أن نؤمن أنها - باستثناء القرآن الكريم- تعرضت للتحريف والتبديل. ومن ثم فإن واقع الكتب المتداولة اليوم بين يدي اليهود والنصارى -التوراة والإنجيل- أو ما يصطلح على تسميته بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ليس من الوحي في شيء، بل هو من إنشاء أشخاص بعينهم وهو تعبير صريح عن آرائهم ورؤيتهم الخاصة للأشياء. وللقرآن الكريم حكمه الصريح فيها.

عدد الرسل:

لقد اجتهد بعض العلماء في حصر عدد الأنبياء والرسل في عدد معين. وهذا القول يبدو غير سديد، وغير وجيه. ذلك أن عدد الأنبياء والرسل لا يعلمه إلا الله تعالى، لقوله جل شأنه في محكم كتابه الكريم :" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ" [غافر : 78] وقوله أيضا:" وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " [فاطر : 24]

ومن مخاطر تحديد عدد معين من الأنبياء والرسل أنه لا يؤمن " في ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم، أو يخرج منهم من هو فيهم ([1])

أما عدد الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم والذين تجب معرفتهم والإيمان بهم على وجه التفصيل فهم خمسة وعشرون، وهم:

آدم ونوح وإدريس وصالح وإبراهيم وهود ولوط ويونس وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون واليسع وذو الكفل وداود وزكرياء وسليمان وإلياس ويحيى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى:" وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً

1العقائد النسفية، لنجم الدين النسفي، ص، 126 تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الازهرية للتراث، مصر الطبعة الأولى 2000

هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ [الأنعام : 83 -86]

كما ورد ذكر العدد الباقي في مواضيع متفرقة من القرآن الكريم. قال تعالى:" وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ [هود : 50] وقال تعالى:" وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ [هود : 84] وقوله تعالى:" إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ " [آل عمران : 33] وقوله تعالى:" مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ " [الفتح : 29]

وقد أشار إليهم بعضهم في الأبيات الآتية:

حَتْم على كُل ذي التكليف معرفة == بأنبياء على التفصيل قد عُلموا
في تلك حجتنا منهم ثمانيـــــة == من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شغيب صالح وكذا == ذو الكفل أدم بالمختار قد ختموا

ومعنى الإيمان بهؤلاء الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم على وجه التفصيل، أنه لو عرض على المكلف واحد من هؤلاء الأنبياء والرسل لم ينكر نبوته، ولا رسالته. وهذا الحكم لا يصدق على العوام إلا بعد تعليمهم. كما أن حفظ أسمائهم ليس واجبا.([1])

<u>أولوا العزم من الرسل:</u>

أولوا العزم من الرسل خمسة وهم: محمد، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم, وهم المشار إليهم في قوله تعالى:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً [الأحزاب : 7]

1 تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للإمام للباجوري، ص: 53 تحقيق عبد الله محمد الخليلي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة 2007.

ومعنى العزم أي الصبر. قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم:" فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ[الأحقاف : 35]

فهرس المصادر والمراجع

1. الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق د. فوقية حسين، طبعة دار الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية 1987.
2. أبكار الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الآمدي. تحقيق د. أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية القاهرة. 2002.
3. الأربعين في أصول الدين، للإمام فخر الدين الرازي، تحقيق أحمد حيجازي السقا، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، بدون تاريخ.
4. أربعون مسألة في أصول الدين، لأبي عبد الله محمد بن خليل السكوني الأشبيلي، دراسة وتحقيق الأستاذ يوسف أحنانة، طبعة دار العرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولة1993.
5. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق د. محمد يوسف موسى، مطبعة السعادة، مصر، 1990.
6. أساس التقديس للإمام فخر الدين الرازي، تحقيق د. أحمد حجازي السقـــا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1986.
7. الأسماء و الصفات، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق، عبد الله بن محمد الحاشدي طبعة مكتبة السوادي للتوزيع جدة، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، 1993.
8. أصول الدين، للإمام عبد القاهر البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1980.
9. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، طبعة دار الفضيلة الرياض، الطبعة الأولى 1999.
10. الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.
11. الأشعري، أبو الحسن، الدكتور حمودة غرابة، مكتبة الخانجي بمصر، مطبعة الرسالة بدون تاريخ.
12. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1993.
13. التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر الإسفرايني، دراسة وتحقيق، د. مجيد الخليفة، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 2008.
14. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر الدمشقي، عني بنشره القدسي، طبعة دار الكتاب العربي 1979.
15. تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري، ضبطه وصححه عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة 2007.
16. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تأليف القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي المتوفى سنة 544، تحقيق د. محمد بنشريفة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
17. تقريب البعيد إلى جوهرة التوحيد، للإمام أبراهيم اللقاني، تأليف الشيخ علي بن محمد التميمي الصفاقسي، تحقيق

الحبيب بن طاهر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 2008.
18. تمهيد الأوائل و تلخيص الدلائل، للقاضي أبو بكر الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، 1987.
19. التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز، للإمام أبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني، تحقيق، يوسف أحمد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2005.
20. التوحيد للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن أحمد الماتريدي السمرقندي، تحقيق، د. فتح الله خليف، طبعة دار دمشق، بيروت، بدون تاريخ.
21. تنزيه الأنبياء عما نسبه إليهم حثالة الأغبياء، لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن خمير، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت الطبعة الثانية 1999.
22. حاشية الدسوقي على أم البراهين، ضبط نصها وصححها عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2001.
23. حاشية الشيخ محمد بخيت المطيعي، على شرح الدردير على الخريدة في علم التوحيد، دار البصائر القاهرة.
24. حاشية الباجوري المسماة تحقيق المقام على كفاية العوام في علم الكلام للشيخ العلامة محمد الفضالي الأزهري، تأليف الشيخ الباجوري، اعتنى به أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 2007.
25. حاشية محمد الطالب بن الحاج، على ميارة شرح المرشد المعين، دار الفكر، الطبعة الرابعة 1987.
26. حواشي اليوسي على كبرى السنوسي، المسماة عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، للإمام أبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، الجزء الأول تقديم وتحقيق وفهرست الدكتور حميد حماني اليوسي، مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث، الدار البيضاء المملكة المغربية الطبعة الاولى 2008
27. الحدود في الأصول (الحدود والموضوعات) للأستاذ أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الإصبهاني، علق عليه، محمد السليماني، طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1999.
28. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تأليف الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث مصر 1998.
29. الرائد في علم العقائد، العربي اللوه، مطبعة الحداد يوسف إخوان، تطوان سنة 1995.
30. رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده، طبعت بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، طبعة دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى 2001.
31. رسالة إلى أهل الثغر، لإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق عبد الله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1988.
32. الشامل في أصول الدين، للإمام الجويني، تحقيق د. علي سامي النشار و آخرون.
33. شرح العقائد النسفية للإمام التفتزاني، حققه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى 2000.
34. شرح توحيد الرسالة للشيخ محمد بن قاسم جسوس، دراسة وتحقيق، الأستاذة إحسان النقوطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، الطبعة الأولى 2008.
35. شرح السنوسية الكبرى، المسمى عمدة أهل التوفيق والتسديد، للإمام أبي عبد الله السنوسي، عني بإخراجه د. عبد الفتاح عبد الله بركة، طبعة دار القلم الكويت، الطبعة الأولى 1982.
36. شرح صغرى الصغرى، في علم التوحيد، للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، علق عليه الأستاذ سعيد

فودة، دار الرازي الطبعة الأولى 2006.

37. شرح جوهرة التوحيد المسمى "إتحاف المريد بجوهرة التوحيد" للشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي، ومعه النظم الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد.
38. شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتزاني، تحقيق أحمد حجازي السقا، طبعة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى 1987.
39. شرح أسماء الله الحسنى، وهو الكتاب المسمى "لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، راجعه وقدم له، طه عبد الرؤوف سعد، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى 1984.
40. صفات الله تعالى وما ورد فيها من الآي والأحاديث، تأليف الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي المفسر، تحقيق وتعليق سيد إبراهيم عمران، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2001.
41. العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، للإمام أبي عمرو عثمان السلالجي، مع شرح العقيدة البرهانية للإمام أبي عثمان سعيد بن محمد بن العقباني، تحقيق، نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى 2008.
42. عقيدة التوحيد الكبرى، للعلامة محمد المكي بن عزوز البرجي المالكي، تحقيق وتعليق الدكتور محمد رشيد علي بوغزالة السوفي الجزائري، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى 2008.
43. عقائد الأشاعرة، في حوار هادئ مع شبهات المناوئين، بقلم صلاح الدين بن أحمد الإدلبي، دار السلام للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الأولى 2007.
44. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تأليف إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، مصر1992.
45. العقيدة الوسطى وشرحها، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق، يوسف أحمد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2006.
46. عيون المناظرات، أبو علي عمر ال سكوني، تحقيق سعد غراب، طبعة، منشورات الجامعية التونسية، تونس 1976.
47. غاية المرام في علم الكلام، تأليف سيف الدين الآمدي، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة 1972.
48. فتاوى ابن رشد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق الدكتور المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1987.
49. الفرق بين الفرق، للإمام عبد القاهر البغدادي، طبعة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة 1980.
50. القول الفصل في الذين يؤمنون بالغيب و الذين لا يؤمنون، الشيخ مصطفى صبري، طبعة، دار السلام، القاهرة 1988.
51. القول الفصل شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، تأليف بهاء الدين زاده، تحقيق، د. رفيق العجم، طبعة دار المنتخب العربي، بيروت 1998.
52. كبرى اليقينيات الكونية، – وجود الخالق ووظيفة المخلوق – د. محمد سع يد رمضان البوطي، طبعة، دار الفكر المعاصر، بيروت 1402.
53. كتاب مصباح الأرواح في أصول الدين، للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق سعيد فودة، دار

الرازي، بدون تاريخ.
54. لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي، تحقيق د.فوقية حسين، طبعة دار الأنصار القاهرة الطبعة الأولى 1977.
55. لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام، تأليف الإمام أبي علي السكوني، إعداد عبد القادر أزمامة. مجلة معهد المخطوطات العربية، الطبعة الأولى 1997.
56. اللمع في الرد على أهل الزيغ و البدع، لأبي الحسن الأشعري ، صححه وقدم له وعلق عليه، الدكتور حمودة غرابة، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ.
57. مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، من إملاء الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، تحقيق دانيال جيماريه، طبعة دار الشروق، بيروت.
58. محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين، للإمام فخر الدين الرازي، تحقيق عبد الرؤوف سعد، طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت 1984.
59. المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد، للشيخ علي سليمان القضاة، طبعة، دار الرازي، الأردن 1999.
60. مشكل الحديث وبيانه للإمام أبي بكر بن فورك، تح قيق وتعليق موسى محمد علي، طبعة عالم الكتب، ب يروت، الطبعة الأولى 1985.
61. مقدمات المراشد إلى علم العقائد، لابن خمير السبتي، تحقيق د. جمال علال البختي مطبعة الخليج العربي تطوان، الطبعة الأولى 2004.
62. المواقف في علم الكلام، القاضي عبد الرحمان بن أحمد الإيجي، حققه د. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1977.
63. مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، عني بتصحيحه، هلمت ريتر، طبعة دار النشر فرانزشتاير بفيسبادن الطبعة الثالثة 1980.
64. منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، للإمام علي بن سلطان محمد القاري، ومعه كتاب "التعليق الميسر على الفقه الأكبر" للشيخ وهبي سليمان غاوجي، طبعة دار البشائر لإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.
65. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، طبعة، دار المعرفة، بيروت 1975.
66. المنهل السيال الدافع لما نشأ من خلاف بين الأشاعرة والماتريدية من الإشكال، تأليف الشيخ عبد الحافظ بن علي المالكي الصعيدي الأزهري، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2008.
67. المواقف في علم الكلام، القاضي عبد الرحمان بن أحمد الإيجي، حققه د. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1977.
68. موقف العلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، الشيخ م صطفى صبري، طبعة دار إحياء الكتب العربية، للبابي، مصر 1950.
69. النشر على الشيخ الطيب على توحيد ابن عاشر، الشيخ إدريس بن أحمد الوازني، المطبعة المصرية بالأزهر، بدون تاريخ.
70. نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، تحقيق المستشرق الفرد جيوم، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.